بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أمدرمان الإسلامية

معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي

قســـم اللـــغة العربـــية

برنامج الدراسات العليا لنيل درجة الماجستير

بحث بعنوان :

أثر البداوة في شعر العباسي

مقدم البحث الطالب /

عمر محمد علي عبد الله

المشرف /

د/ سيد أبو إدريس أبو عاقلة

الآيــة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالي :

(وقلِ إعمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُـم وَرَسُولُهُ والمُؤمِنون وستُرَدَونَ

إلى عَالـمِ الغَيبِ والشّهَادةِ فَيُنَبِئُكُـم بِمَا كُنْتُـم تَعْمَلُون) .

(التوبة الآية ١٠٥)

إهداء

إلى كل الذين أغدقوا عليّ إحساسهم الدفّاق ، وأعطوني عطر الهنيهة وروعتها، وحملوني في أحداقهم شيئا عزيزاً ، ووهجاً جد غالٍ وهبوني محبةً لا حدود لها وأعطوني قبل ذلك وبعد ذلك كله اجمل ذكرياتي ...

شكـــر وتقـــدير

إلى كل من وقف معي مسانداً وناقداً وموجهاً وناصحاً وداعماً لي معنوياً ومادياً ، وساعياً لتوفير المناخ الملائم لإنجاز هذا البحث ، وأخص منهم والدي الذي لم يبخل علي يوما ولم يتوانى أبداً في تقديم العون والمساعدة لإخراجه بهذه الصورة التي اترك لكم تقييمها ، كذلك أستاذي الجليل دكتور / سيد أبو إدريس أبو عاقلة المشرف علي البحث ، والذي ما فتئ يمدني بنصائحه وتجاربه ، ومن ذخائر مكتبته ، والذي اسهم بفاعليه في إتمام هذه الدراسة ، وكل الذين ذكرتهم ومن لم يتسع المجال لذكرهم ،هم بقامة النخل وعنفوان السنابل ، لا يطالهم الشكر ولا يوفيهم حقهم الثناء ، إلا من عند الله عز وجل ، الذي آمل منه أن يجزيهم عني كل خير .

الفهرس

مقدمة البحث :

إن تراثنا الأدبي السوداني حقيقٌ بالدراسة ، وان من بين شعراء بلادنا الحبيبة من هم جديرون بالبحث والدراسة والاستقصاء لذا ، أخذت أنموذجا حيا – برهانا علي اعتقادي – ممثلا في شخصية شاعرنا الفذ محمد سعيد العباسي ، ولا يعني ذلك أن في طيّات دراستي هذه الاستقصاء الكامل والبحث التام ، لكنى عملت علي أن أقارب به ذلك رغم شعوري العميق بان شاعراً كالعباسي لا يمكن الإحاطة به كليا إلا إذا شربت قاموس اللغة ماءً ، وذلك لجزالة اللغة عنده ، وسعة أساليب التعبير لديه ، فكلما تمعَّنت في ديوانه خالجك إحساس قوي بأنه في حاجةٍ ماسة لدراسةٍ اعمق من التى تناولها الذين كتبوا عنه . ولحشد اكثر مادة في هذا البحث الذي يحمل عنوان (***اثر البداوة في شعر العباسي***) والذي دفعني إلى تناول هذا الجانب من شعر العباسي هو قوة تأثير هذا العامل في تكوين شخصية العباسي الأدبية وصقله لغويا ، ولان معظم الذين كتبوا عن شاعرنا الفذ تناولوا هذا الجانب من ضمن جوانب عدة كان لها بالغ الأثر في توجيه أدب العباسي ، ومنها اثر من ارض الكنانة ، والتصوف والوطنية فلم يخص أحدهم هذا الجانب ببحث منفرد بالرغم من أنني تناولت بعض شعره في هذه الجوانب لأدلل بها علي جزالة اللغة وسعة القاموس لدي العباسي لأنهما من أهم سمات أهل البادية منذ القدم لقوله (صلى الله عليه وسلم) (أنا افصح العرب بيد أنى من قريش ورضعت في بادية بني سعد) ولذا قمت في هذا البحث بتقسيمه إلى خمسة فصول يحتوى كل فصل منها علي مبحثين فأطلقت علي الفصل الأول اسم (الخصائص البدوية)تناولت في المبحث الأول منه مفهوم البادية من خلال معاجم اللغة واختلاف مدلول كلمة بَداوة) بينها مع التعليق بالموافقة أو الخلاف لمعناها الذي تناولته به هذه المعاجم والمفاضلة بينها لتوافق ما ذهبت إليه في تناول ذلك المفهوم مع توضيح الفرق بين العرب والأعراب من حيث الإيغال في الصحراء والقرب من المدن ثم تناولت في المبحث الثاني منه حدود البادية التي تفصلها عن الحاضرة فقسمتها إلى حدود فكريه توضح اعتماد البدوي على الحفظ علي ذاكرته ليس إلا مع إيضاح الأسباب .

كذلك تناولت فيه الحدود الدينية والأخلاقية من حيث تمسك أهل البادية بالأعراف ومكارم الأخلاق كما ضمّنته الحدود اللغوية من حيث فصاحة العرب وسلامة اللغة عندهم لإيغالهم في البادية وبعدهم عن اللحن الذي ينتج أصلا من المخالطة كما هو حال المدن أو القبائل القريبة من الحاضرة .

أما في الفصل الثاني الذي بعنوان البيئة الاجتماعية فحوى الدراسة في المبحث الأول منه عن مولد العباسي ونشأته في رحاب الطريقة السمانيه وعلاقته بوالده ودراسته في المدرسة الحربية ومدي حبه لمصر (ارض الكنانة) وعودته منها ووفاة والده وصراعه مع أبناء عمومته من اجل زعامة السجادة السمانيه وعلاقته ببادية الكبابيش وحبه الذي شب فيها .

أما المبحث الثاني فقد تحدثت فيه عن اثر الطريقة السمانيه في توجيه أدب العباسي وتكوين شخصيته من حيث رقة الأسلوب والمفردات التي ظهرت في قاموس شعراء التصوف مع ذكر أقسام الطريقة السمانيه وكيفية أذكار كل واحده منها وبعض الرموز المستعملة في شعر العباسي وأدب المتصوفة وتطبيق معايير المتصوفة علي العباسي من خلال تناولنا لبعض المقطوعات من شعره .

أما الفصل الثالث فقد كان موضوع الدراسة في المبحث الأول منه مؤداها المقارنة بين البادية السودانية والبادية العربية قديما وذلك لإثبات أن بعض المعالم البدوية التي ذكرها العباسي في شعره لم يكن مقلداً فيها لديوان الشعر قديماً وإنما كل ذلك استقاه من خلال ترحاله في بادية غرب السودان (بادية الكبابيش) موضحا بعض سمات التشابه في العادات والتقاليد وطريقة نظم الشعر بين الباديتين العربية والسودانية وذلك في المبحث الأول منه .

أما المبحث الثاني فكان عن بعض سمات الاختلاف بين الباديتين من حيث الذوق والسلم الموسيقى للأغنية واختلاف المناخ وغيرها .

أما الفصل الرابع فكان عن سمات شعر العباسي ، فكانت الجزالة هي محور الحديث عن المبحث الأول منه أوضحت فيه معنى الجزالة وآراء بعض علماء اللغة ودعوتهم إلى التمسك بالجزالة باعتبارها مقياساً لمدى تمكن الأديب من لغته .

فكان لابد من المقارنة بين العباسي وبعض شعراء الجزالة في الأدب العربي مثل البارودي ، والشريف الرضي ، وأبي فراس الحمداني والمتنبي وعمر بن أبي ربيعه وبين شاعرنا السوداني عبد الله محمد عمر البنا .

كذلك كان المبحث الثاني من الدراسة في المثل والقيم الأخلاقية التي تحلى بها العباسي من خلال بعض أشعاره ومحاولته بث تلك القيم في معاصريه متخذا من شعره أداة لذلك وإيضاح مذهبه في السياسة وعلاقته بها في ذلك الوقت .

وفي الفصل ا لخامس الذي بعنوان ذاتية العباسي : فكان موضوع الدراسة في المبحث الأول علاقة العباسي بالمرأة ، وما كانت تمثله له من خلال ظروف الكبت والحرمان التي عاشها

في بيئته المتشددة مما ولد لنا الغزل الحسي في شعره مبيِّنا لنا فيه ذاتية العباسي وانطلاقه ملبيا صوت الفنان في داخلة .

أما المبحث الثاني فقد كان يضم تحليلا لبعض قصائد العباسي لبيان بعض النواحي الفنية في شعره من جزالة اللغة ورقة الأسلوب وسعة القاموس ودقة الوصف وصدق الشعور . كذلك أوردنا فيه بعض آراء معاصري العباسي في شعره آو الذين كتبوا عنه مما يدل علي أهمية أدب العباسي وعلو منزلته وسمو مكانته عند معاصريه والمتأخرين عنهم من قراء شعره الراقي .

وفي تناولي لكل ذلك لا ازعم الكمال ولا أدعي الإحاطة وإنما هو أديب له في نفسي صدىً قوي خرج إليكم عبر هذا البحث المتواضع وآمل من الله أن أكون قد وفقت فيما تناولته من هذا البحث فهو المستعان في كل شي.

الفصل الأول

الخصائص البدوية

المبحث الأول
مفهوم البادية

يختلف مدلول لفظة بداوة حسب تناول أصحاب المعاجم اللغوية لأصل مادتها فمنهم من عزاها لمادة بدأ ومنهم من ردها إلى مادة بدد لذلك لا بد من عرض مدلولاتها حتى نصل إلى ما يطابق تناولنا لها وفي هذا الصدد يقول إسماعيل بن حماد الجوهري [1] :

أَبَدَ بالمكان : بأبِدُ بالكسر أُبوداً أي أقام به .

وأبدت البهيمة : تأبُد وتأبِدُ : أي توحشت .

الأوابد : الوحوش . والتأبيد : التوحش ، تأبَّدَ المنزل : أي أقفر والفته الوحوش يقال للشوارد من القوافي : الأوابد .

قال الفرزدق :

لـــن تـــدركوا كرمـــي بلـــؤم أبـــيكمُ

وأوابـــــدي بتنحـــــل الأشـــــعار

وأبِد الرجل بالكسر أي توحش فهو ابِدٌ

قال أبو ذؤيب الهزلي :

فـــأفتنّ بعـــد تمـــام الظـــمء ناجيـــه

مِثـــل الهـــراوه ثنيـــاً بكرهـــا أبِـــدَ

أي ولدها الأول توحش بها

فالجوهري يعزي لفظ أبِد إلى التوحش الذي كان سمة الأعراب أو البدو الذين قطنوا أطراف الصحراء المترامية على مدّ البصر ، ولم يألفوا حياة المدن أو الحواضر التي كان باستطاعتهم الوصول إليها والتمتع بحياة المدنية فيها .

---

[1] الصحاح لاسماعيل بن حماد الجوهري جزء (٢) باب الدال .

* أما إبراهيم أنيس ومحمد شوقي أمين [٢] فقد إتفقا على أن بدّا الشيء (قدمه وفضله)ابتدأ الشيء:وبه بدأه .

البادي :بادي الراي ما يبدأ منه وهو الراي الذي يبدو قبل إنعام النظر فيه . فيقال فعلته بادي الراي .

(البْدء) : أول كل شيء يقال فعلته بدءاً .

وبْدءَ وبدْءِ وأول بدءِ

يقال فعله عوداً وبدأ وعوداً على بدْءٍ : فعله مرة بعد أخرى

ورجع عوده على بدئه : في الطريق الذي جاء منه .

البدْءِ : السيد الأول في السيادة والثنيان هو الذي يليه في السيادة .

قال أوس بن مِغراء السعدي :

ثنياننـــــا إن أتـــــاهم كـــــان بـــــدْأهمُ

وبـــــدؤهمُ إن أتانـــــا كـــــان ثنيانـــــا

والشاب العاقل المستجاد الرأي .

وخير نصيب في الذبيحة .

البُداءَةُ : يقال لك البُداءة / البَدْءُ .

البدْأهُ : أول الحال أو النشأة .

البُدائي : منسوب إلى البُداءَة ما كان في الطور الأول من أطوار النشأة .

المبدأ مبدْأ الشيء : أوله ومادته التي يتكون منها وفلان بْدوَ وبَداوة : خرج إلى البادية يقال بدأ الى البادية ، وأقام بالبادية فهو بادٍ .

يقول أبو فراس الحمداني :

بـــدوت وأهلـــي حاضـــرون لأننـــي * أرى أن داراً لســت مــن أهلهــا قفــر** [١]

إبتدى : ذهب إلى البادية .

---

[2] المعجم الوسيط لابراهيم ومحمد شوقي امين ماده بدّه ص ٤٢.

[1] ديوان أبي فراس الحمداني – تقديم وشرح عبد القادر محمد سابو – دار القلم العربي – سوريا .

تبَادى تشبه بأهل البادية .

تبَدَّى : ظهر : وأقام بالبادية .

البادي : المقيم في البادية وفي التنزيل (بادون في الأعراب)[٢] .

بادي الراي : ظاهره الذي لا رَوِيةَ فيه .

وفي الذكر الحكيم :

قال تعالى : (ما نراك اتّبعك إلاّ الذين هم أراذلنا بادي الرأْي)[٣] .

البادية مؤنّث البادي : فضاء واسع فيه المرعى والماء .

وأهل البادية بوادٍ والنسبة اليها بدوي يقال فلان ذو بدوات وأبو البدوات : إذا كانت تظهر له أراء فيختار أحزمها.

(البَدْائية) قوم جوزوا البداءَ على الله تعالى .

(البَدْو) أهل البادية . البداوه : الحياة في البادية : يغلب عليها التنقل والترحال .

فصاحبي المعجم الوسيط من خلال تناولها لمادة (بدْأ) نستنتج منهما أن لفظ البادية أو البداوه يرجع إلى كل ما كان في الطور الأول من النشأة وأنا أتفق معهما في ذلك لأن الأصل في المدن والحواضر هم سكان قدموا من البادية واستقروا على أرض ذات ماء وكلأ وهي من أهم البنيات لقيام المدن والاستقرار عليها ومن ثمَّ تنظيم حياة هؤلاء السكان بدستور يحفظ حق كل فرد ينعم بخدمات كافية تغنيه عن التنقل والترحال ولأن الأصل في قيام المدينة أو الحاضرة هو تجمع لقرىً صغيرة أو بوادٍ صغيرة حول مورد ماء وكلاً وطرق مواصلات .

وأرى أيضاً ان سبب تسمية البدو بهذا الاسم هو رجاحة عقلهم وسداد رأيهم عند مشورتِهم فكان يقال للواحد الذي يشتهر فيهم بحكمته أخو البدوات أو ذو البدوات أي صاحب الرأي السديد الذي يكون ملازماً له في كل أحواله لذلك نزل الوحي على النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله (

---

[2] الأحزاب الأية (٢٠) .

[3] سورة هود الآية (٢٧) .

وأمرُهم شُورَى بَيْنَهم)[١] وأطلق اسم الشورى على سوره كاملة في القرآن الكريم تثبيتاً للمبادئ التي أستند عليها الإسلام ولعلمه تعالى برجاحة عقل البدوي وسلامة رأيه وسعة أفقه .

البدائي من الشعوب : ما كان في الطور الأول من أطوار الحضارة ويطلق على الشعوب المعاصرة التي تعيش حضارة متخلفة .

مبادئ : مبادي العلم أو الدين أو الخلق أو الدستور والقانون : قواعده الأساسية التي يقوم عليها [٢].

ومن خلال هذا التتبع لمفهوم لفظة بدا كما جاءت في معجم الوجيز يتبين لنا أن هذا المعجم معاصر لأن هذا اللفظ بهذا المفهوم يطلقه العالم المتقدم في الحضارة والتكنولوجيا والتقنية – ونقصد به أروبا وأمريكا – على بعض الدول التي لم تواكب تقدمهم التقني فأطلقت عليها دول العالم الثالث أو الدول النامية وهي التي تخلفت عن ركب الحضارة ويخصون بها أفريقيا في المقام الأول .

وكذلك التناول للفظة مبادئ ، لأن هذه العلوم لم تكن تدرس في القديم منفصلة كل عن الآخر بل كانت تدرس مجتمعة فنجد العالم يطلق عليه الفيزيائي والطبيب والفيلسوف والفلكي كل ذلك في آن واحد ويظهر ذلك جلياً عند إطلاعنا على التأليف لقديم غير المتخصص ثم جاء التأليف المتخصص فقصر إهتمامه على نوع واحد من العلوم ووضع لها المبادي التي يستند عليها والتي تم تجميعها من كتب التأليف غير المتخصص وتصنيفها .

---

[1] الشورى – آية (٣٨)

[2] المعجم الوجيز – إصدار مجمع اللغة العربية – الطبعة العاشرة – ١٩٩١م قدم له الدكتور مصطفى حجازي – دعت لتأليفه وزارة المعارف قديماً واستجابت لتلك الرغبة وزارة التربية والتعليم حديثاً وهو مكتوب بروح العصر ولغته ويتلاءم مع مراحل التعليم المختلفة وقد اتبع ايراد الكلمات حسب النطق لا التصريف مقدماً الأفعال على الأسماء والفعل المجرد على المزيد واللازم علي المتعدي والدلالة الحسية على المعنوية وحشد في مادته ما دعت إليه الضرورة من الألفاظ المولدة والمصطلحات العلمية أي أنه معجم حديث

* أما صاحب القاموس المحيط الفيروزابادي ففي تناوله لهذه المادة في قاموسه [١] فلم يضف شيئاً إلى ما ذهب إليه الجوهري في صِحَاحِه سوى أن البديهة هي البداءه بمعنى ما كان في الطور الأول من النشأة .

أما ابن الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الملقب بإبن منظور فقد تناول مفهوم مادة بدأ بنفس أسلوب الصحاح والقاموس المحيط لكن أعتقد أنه في تناوله لمادة بدد علاقة بتسمية البدو ، والبداوة مأخوذة من البدأد والتبديد الذي بمعنى التفريق .

يقال شمل مبدد : أي متفرق [2].

تبدد القوم إذا تفرقوا . وجاءت الخيل بداد : أي متفرقة .

قال حسان بن ثابت وكان عيينه بن حصن بن حزيفة قد أغار على سرح المدينة فركب في طلبه جماعة من الأنصار منهم أبو قتادة الأنصاري والمقداد بن الأسود الكندي حليف بني زهرة فردوا السرح وقُتِل رجلٌ من بني فزارة يقال له الحكم بن ام قِرْفه جدّ عبد الله بن مسعده .

هل سرّ أولاد اللقيطة أننا ** سِلمٌ غداة فوارس المقداد

كنا ثمانية وكانوا جحفلاً ** لجباً فشُلوا بالرماحِ بداد[٣]

إي مبددين متفرقين .

والرضيعان التوأمان يبتدّان أمهما : يرضع هذا من ثدي وهذا من ثدي .

والآبد : الرجل العظيم الخلق .

والآبِد: الواسع الصدر .

يقال أستبد فلان بكذا : إذا انفرد به دون غيره ، والمبادة في السفر : أن يخرج كل أنسان شيئاً من النفقة ثم يجمع ما ينفقونه فيوزع بينهم بالتساوي عند الحاجة. وابُدّ بك عن ذلك الامر : اى ادفعه عنك .

البديده : المفازه الواسعه .

يقال بدد فلان تبديداً : اذا نعس وهو قاعدُ لا يرقدْ.

---

[1] القاموس المحيط للفيروزابادي جزء (١) ص ٨ .

[2] لسان العرب لابن منظور جزء (٣) ص (٧٨) .

[3] ديوان حسان بن ثابت تحقيق د . سيد حنفي حسين ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، القصيدة رقم(٢٢٢) ص(٣٢٦)

وتلك المدلاولات التي ذكرها ابن منظور للفظ بدد هي في منظوري اقرب إلى اصل كلمة بادية وبداوة وبدو لان العرب في أول أمرهم قبل الإسلام كانوا في فرقة وشتات وحرب وقتال دائم بين القبائل لذلك كان البدوي ينعس وربما نام قاعداً وما ذلك إلا للترقب وإحساسه بالخطر ولما كان النظام السائد هو نظام القبيلة وهو الرابط القوي بين أفرادها ولما كان طبيعة الصحراء يغلب عليها التنقل والترحال الدائم بحثاً عن الماء والكلأ فقد كان أفراد القبيلة يخرجون في جماعة يشتركون فيما يأكلونه ويشربونه والذي يوزع فيما بينهم عند الجوع والظمأ بالتساوي حفاظاً على الباقي لطول الرحلة .

ولما كان واجب الفرد في القبيلة هو الولاء لها فقد كان من حقوقه عليها حمايته من كل معتد عليه في المال والنفس فكانت تبدُّ عنه ذلك الخطب .

الفرق بين العرب والأعراب :

إننا إذا رجعنا للنظر في المعاجم اللغوية لنتبين الفوارق بين هذه الكلمات لن نظفر بشئ يمكن أن يكتشف لنا عنها ، فقصاراهم أن يقولوا إن البدو خلاف الحضر وأن الحضر خلاف البدو ، وهكذا ندور في حلقة مفرغة ، ومن هنا يحسن بنا أن نولى وجوهنا شطر علماء الإجتماع وأصحاب المعاجم الجغرافية . أما الصحراء فهي موطن الأعراب الذين كانو يسيحون فيها ويضربون في مجاهلها على أنهم قسمان كبيران .

- قسم كان معاشه في السائمة مثل الغنم البقر فهم ظعن في الأغلب لأرتياد المسارح والمياه لحيواناتهم غير أنهم لم يكونوا يبعدون في النجعة وفي القفر لفقدان المسارح الطيبة
- أما القسم الثاني فكان معاشه في الإبل فهم أكثر ظعناً وأبعد في القفر مجالا لانّ حيواناتهم تحتاج ذلك ، فالعرب إذن غير الأعراب . غلاظ الأكباد ، قساة القلوب غير أن كلمة العرب التي استعملها إبن خلدون في مقدمته أوقعت كثيراً من الدارسين في الخطا فظنوا أن العرب هم الأعراب وقد صحح هذا المفهوم الخاطئ حديثاً . أما البدو فهم غير الأعراب لأنهم أي الأعراب ينزلون قريباً من المدن لا يبتعدون عنها

لذا ورد كثيراً في كتب اللغة التي أخذت عن الأعراب قول (نزل أعرابي بالبصرة فأخذ عنه فلان وفلان).

الفصل الثاني

البيئة الاجتماعية

المبحث الثاني

حدود البادية

إن للبادية حدود البادية يجب التطرق إليها من الناحية الجغرافيّة واللغوية والثقافية والدينية .

* **الفواصل الفكرية** : يعول البدوي في المقام الأول في فكره أو حصيلته الذهنية على ذاكرته وذلك لعدم وجود حافظة بديلة لها يقيد فيها ما يريد استرجاعه عند الضرورة ، كما أن جهله بالكتابة غالباً يكون له الأثر البالغ في تنمية ذاكرته وتوسيعها لتخزين أكبر قدر من اهتمامه خاصة في مجال الشعر والأمثال ، ولقد أثبتت ذلك الدراسات الحديثة التي أوضحت أن الشعوب البدائية أحدّ ذاكرة من الشعوب المتحضرة ، ويعزى ذلك لاعتماد الشعوب المتحضرة على بعض الوسائل الحديثة لحفظ بعض أو معظم ما يريد استحضاره عاجلاً كان أم آجلاً ، وأكبر دليل على ذلك أن القرآن الكريم والحديث النبوي جمعا من صدور الصحابة الذين كانوا في الأصل أهل بادية فكان أبو هريرة يحفظ كل ما ينطق به النبي (صلى الله عليه وسلم) بالنص ولا يفوته شيئاً مما قال ، كذلك كان جمع اللغة من السنة الأعراب لوضع قواعد وأسس النحو الذي كان التحدث به في بادي الأمر سليقة لعدم المخالطة .

وربما يرجع اعتماد البدوي على ذاكرته إلى أن اهتمامه كان مقصوراً على بعض الجوانب المتعلقة بحياته في البادية ، وذلك لضيق هذه الحياة ووقفها على سبل العيش الذي يقوم على الرعي ، بخلاف الحياة في المدن والحواضر التي تتسع لتشمل الصناعة والتعليم والزراعة بالطرق الحديثة ، الى غير ذلك من طرق الكسب المتعددة في المدينة .

* **الحدود الدينيّة والأخلاقية** : إن حياة البادية تقوم على المثل والقيم الأخلاقية التي حث عليها ديننا الحنيف ، وكان أكبر ما يعاب على ساكن البادية خروجه عن هذه القيم ونشوذه عن تلك المثل في حله وترحاله ، لذلك نجد أن الفخر والمدح هما أكثر الأغراض التي يتناولها الشعراء القدامى في الأدب العربي ، لأن هذه الأغراض هي أكثر ما يمكن بث القيم الأخلاقية عبرها ،

ورفـع شـأن المتمثـل بهـا ، بالمقارنـة ذم الخـارج عنهـا . ومـن أهـم هـذه القـيم الجود والشجاعة وإغاثة الملهوف وإكرام الضيف . والدارس لديوان الأدب العربي يعرف ذلك جلياً .

كما أن العفة عن الحرمات والبعد عنها حتى في شدة الهيام وحرارة الوجد كما قال شاعرنا الكبير عبد الله محمد عمر البنا :

وكل خريدةٍ في الحيِّ ليلى ** لها قيسٌ يؤرقُه الهيامُ

حلالٌ وصلَه عفٌ هواهُ ** حرامٌ أنْ يُدنسُه حرامُ[١]

لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم (من أحب فعف فمات فهو شهيد) .

وهذا لا ينطبق على حال الناس في الحاضرة ، لا أقول كلهم لكن جلهم ، وذلك لتعقيد حياة المدينة وأحوالها الإقتصادية التي لا ترحم الفقير . وتعدد وسائل الإنحلال الخلقي من دور السينما والمنتذهات والبارات وأماكن الرزيلة والتحرر من الحشمة إلى غير ذلك مما يمكن أن يشين المرء ويحله من الرباط الديني والخلقي ولا يعني ذلك أننا من دعاة ترك المدن والإتجاه إلى البوادي ولكن من أنصار أن تقوم هذه المدن على عادتنا وتقاليدنا السمحة التي ورثناها عن الأجداد الذين غرثوها فينا عندما كانوا يقطنون البوادي قبل نشأة المدن ،أو عندما كانت هذه المدن عبارة عن قرى أو بوادي متفرقة .

***الفواصل الجغرافيّة** : مما لاشك فيه أن التطور في مسيرة الإنسان سعياً وراء الحضارة لا بد أن يستقى من عدة روافد تعمل عمل الشريان في مده بمختلف السبل لمواكبة العيش والحياة بيسر ، ومن أهم هذه الروافد الاتصال المباشر أو الغير مباشر مع الأمم المختلفة التي على تخومها والتي تعد صاحبة باعٍ طويل وتجربة ثرّة في مجال العلوم الحديثة ، ونعني بها الحديثة في عصرها أو وقتها التي ظهرت فيه بالمقارنة مع علومها السابقة . وأيضاً عن طريق الإطلاع على مؤلفات هذه الأمم في تلك العلوم ، وترجمتها لنقل هذه العلوم وبما حوته تلك المؤلفات ، فلا توجد حضارة في العالم اليوم مهما بلغت من

---

(1) ديوان البنا الجزء الثاني للشاعر عبد الله محمد عمر البنا جمعه وحققه وضبطه وقدم له الأستاذ طه أحمد كرار – الطبعة الثانية ١٩٨٨م – ص (١٠٦) .

الرقي والتقدم لم تنهل من معين حضارة أخرى سابقة لها ، ولذا عارض المؤرخون والباحثون اليوم فكرة (صراع الحضارات) وأطلقوا عليها (حوار الحضارات).

ومن ثمّ أطلق على المجتمعات التي لم تتصل بغيرها وليس ذلك إلا لطبيعتها الجغرافية اسم البادية أو كان الاتصال غير مؤثر في تركيبة ذلك المجتمع مداً وجذراً ، ولذلك أطلق المؤرخون اسم البادية العربية على الأراضي التي تقع بين نجد وتهامة لعدم مخالتطها لأي من الأمم الأخرى وأطلقوا على سكان هذه الأراضي البدوأو أهل البادية .

*الفواصل اللغوية : أطلق بعض اللغوين على البدو الذين أوغلوا في البادية لفظ العرب الأقحاح أو للفرد بدويٌّ قُح وأرادوا به الذي يسلك مسلكاً ينأى به عن حياة المدن ساعياً إلى المحافظة على تركيبته السكانية وبيئته الأصلية التي نشأ فيها وذلك لاعتزازه ببداوته وافتخاره بعروبته أباً عن جد وسلامة لغته من اللحن الذي نشأ أصلاً من المخالطة بين الأمم والمجتمعات كما كان ذلك في العصر العباسي ، فكان علماء اللغة وحُفَّاظ الرواية والحديث النبوي يؤمون شطر البادية فكان البصريون يفاخرون أهل الكوفة بقولهم أخذنا اللغة من حرشة الضباب وأكلة اليرابيع واخذتم اللغة منه أكلة الكواميخ والشواريز وأرادوا بالكواميخ والشواريز اللبن بعد خساره (الروب) .

وكان معظمهم – علماء اللغة والرواية – سكان مدن وحاضرة وذلك للتحقق من صدق حديث شريف أو قاعدة نحوية أو رواية شائعة أو مغمورة فيما عرف بالرحلة فكان معيار الصدق خاصة عند أهل اللغة إيضاً إيغال المتحقق منه في البداوة ومجانبته لمخالطة الأمم المجاورة لهم خاصة الأعاجم لتفشي اللحن بينهم وكثرة ألفاظهم غير العربية التي استمدوها من أممهم التي جاءوا منها لذلك كان العالم النحوي الكبير يونس بن حبيب يقول (لا أقول قالت العرب إلا إذا سمعت ذلك من عالية السافلة أو سالفة العالية) يريد أن البدو الذين يجب أن تؤخذ عنهم اللغة والرواية هم الذين يقطنون بين جبال نجد والحجاز وأشهرهم قريش وأسد كما أمر سيدنا عثمان ألا يكتب في مصاحفه عند ما بدأ بجمع القرآن الأ هؤلاء البدو لسلامة لغتهم من اللحن لذلك أخذت اللغة وقواعد النحو العربي تبعاً للمخالطة والإيغال في

البادية وقلّ أو إنعدم الأخذ عن القبائل الحدودية خاصة في العراق لمخالطتهم للفرس وهكذا .

وهذا الحديث لا يقتصر على البادية أو البدو وفي الجزيرة العربية فقط بل على كل بادية على هذه البسيطة ما دام أهلها لم يخالطون غيرهم من المجتمعات وقد قال (صلى الله عليه وسلم): (أنا أفصح العرب بيد أنني من قريش ورضعت من بادية بني سعد) وذلك لموقع قريش من جزيرة العرب وللخصائص التي خصّ بها الله تعالى رسوله الكريم .

وعند الحديث عن حدود البادية في السودان فإن الوضع يختلف باختلاف طبيعة البادية السودانية من ناحية التضاريس ليس إلا ، فإن سطح الأرض في السودان سهل سبل الوصول والارتباط بين مناطق السودان المختلفة إلا أن بعض سكانه أو جلهم فضلوا العيش بعيداً عن المدن هرباً من زحمة الحياة وتعقيدها طلباً لسهولة العيش وبساطة الحياة ويسر التعامل وطيب الهواء ولا يعني ذلك عدم وجود الفوارق التي تحدثنا عنها سالفاً وسوف نعرض لذلك في حديثنا عن سمات التشابه والاختلاف بين البادية السودانية والعربية وإنما قصدنا هنا توضيح المفهوم من لفظ البادية والحدود بينها وبين الحضر .

المبحث الأول
المولد والنشأة

(الشاعر محمد سعيد العباسي من بيت زعامة دينية خطيرة . كان لها شأن كبير في السودان وفي مصر فأبوه أستاذ المهدي الكبير ، عليه تخرج وكان عنده قدر محفوظ إلى آخر حياته وكان زعيماً دينياً خالصاً للدين ، ولهذا تعرض لعنف سياسة الدنيا ولعله تحمل هو وأهله كثيراً من عنتها ، وظلمها في تلك الأوقات المضطربة التي صاحبت أواخر القرن المنصرم في السودان فالسيد العباسي إذا صدح في شعره أحسست في موسيقاه أصداء أناشيد الشريف الرضي). [١]

ولد شاعرنا الكبير محمد سعيد العباسي بقرية عراديب ود نور الدائم بالنيل الأبيض في ٢٣ رمضان عام ١٢٩٨ هـ الموافق ١٨٨١م .

وعندما بلغ السابعة من عمره أدخله والده خلوة لقراءة القرآن هي خلوة الشيخ زين العابدين ثم خلوة أخرى بمدينة أم درمان يقرى فيها الشيخ عوض الكريم الأزهري القران لتلاميذه ثم إشتغل بالتدريس بمعهد أم درمان العلمي فترة من الزمان ثم أنتقل الى الخلاوي مرة أخرى حتى بلغ مجموع ما قرأ عليه من الخلاوي عشرين خلوة وفي أثناء حفظه للقرآن كان والده يحثه على حفظ متن الأجرومية في النحو وعلى حفظ متن الكافي في علم العروض والقوافي كذلك كان يختلف إلى مجالس العلماء وكان أشهر من أخذ عنهم الشيخ محمد البدوي .

تلقى الثقافة الرائجة على العهد المهدوي فحين تم الفتح الإنجليزي المصري كان في الثامنة عشرة من عمره فهو بذلك يقف على مفترق الطريق بين جيلين ، جيل المهدويين والجيل الحفيد الذي تلقى ثقافته على أيدي الإنجليز فهو تلميذ بالنسبة للشيخ محمد البنا ورصفائه وهو من الناحية الأخرى يكبر البناء الصغير (عبد الله) وجيله بنحو عشرين عاماً .

كان والده الشيخ محمد شريف ود نور الدائم الذي تتلمذ المهدي على يديه في علوم القرآن والذي كان المهدي يكن له مودة خاصة ويحفظ له مكانة مرموقة حتى

---

[1] من مقدمة الديوان للأستاذ محمد فريد أبو حديد ص ١٧ – ١٨ .

بعد أن أصبح قائداً للثورة وزعيماً دينياً يعتقد به الكثير من أهلنا في السودان على الرغم من خلافه معه فيما جاء في منشور الثورة من إدخال الإيمان بالمهدية باعتباره ركناً سادساً في الدين وتكفير من ينكر ذلك وعلى الرغم من معارضة الشيخ محمد شريف نور الدائم وبعض العلماء للإعتقاد الذي ساد آنذاك بأن المهدي هو المهدي المنتظر الذي ورد ذكره في بعض الأحاديث النبوية الصحيحة بحجة أن أوصافه لا تطابق تلك التي جاءت في هذه الأحاديث على الرغم من ذلك كان المهدي يحفظ الود لشيخه الذي أحتدم الخلاف بينه وبين المهدية في عهد الخليفة عبد الله التعايشي إلى درجة الإضطهاد لهذا الشيخ الوقور مما ولد مشاعر الحقد والكراهية لدى شاعرنا تجاه المهدية فدعاه للتعريض بها في بعض شعره ذاكراً الحادث الذي تعرض له عمه وزعيم قومه ورأس عائلته السيد عبد المحمود ود نور الدائم من عقاب لا يتفق وكرامة السن والعلم يقول العباسي :

حين عمّ السودان شرُ فعاني ** حكم وآلٍ من الطغاةِ عنيد
ورجالٍ من رهطه قد تردوا ** جلدة الحرِ من خصال العبيد
ما سمعنا بمثلهم منذ كنّا ** غير عادٍ الأولى وغير ثمود
قال قاضيهم أضربوا الشيخ ألفاً ** ضرب ذي قوة وبأس شديد
لا بحكم من الكتاب ولكن ** كان رأياً وكان غير سديد
فجثا ثم قال يا قوم زيدوا ** فوق هذا ويا شدائد زيدي
إن ربي هو اللطيف تعالوا ** فاشهدوا بي لطف العزيز الحميد
ضربوه فقام يرسف كالمصعب ** ذي الروق ثقيل القيود
لم يبن من سياطهم وهي ألفٌ ** يا خليلي غير سوط وحيد
يا لها من كرامة لولي ** لم تفته كرامة الصنديد (١)

وقد ظلت كراهيته للعهد المهدوي حقبة من الزمن لم تتغير إلا في سنة ١٩٥٩م عندما رثى الإمام عبد الرحمن المهدي .

---

(1) ديوان العباسي الطبعة الثالثة (ص ١٣٩) .

وكان جده هو العالم الصوفي الشيخ أحمد الطيب الذي أورد نسبه الشيخ عبد المحمود نور الدائم في كتابه أزاهير الرياض[٢] أنه ينتمي إلى العباس عم الرسول (صلى الله عليه وسلم) والذي ولد عام ١١٥٥ هـ الموافق ١٧٣٩ ميلادية في الجانب الغربي من أم مرح وعرف بالإستقامة وكرم الخلق وهو مؤسس الطريقة السمانية في مصر والسودان .

وكان منتظراً لسليل أسرةٍ بهذا النسب تعرض للعنت والإرهاب إبان العهد المهدوي أن يجد عطفاً وترحيباً من الحكام الجدد فيستعان به في تصريف أعمالهم وتثبيت دعائم حكمهم بمنحه منصباً ومكاناً في النظام الجديد ، ويبدو أن هذا كان إتجاه الإنجليز في الأيام الأولى فقد أشار اللورد كتشنر إلى والده بالحاقه بالكلية الحربية فوافق شاعرنا على ذلك مدفوعاً بتاريخ قبيلته الجموعية التي عرفت ببأسها وشجاعة رجالها الذين يحفظ لهم التاريخ مواقف عظيمة في الحرب والنزال وكان ذلك في عام ١٨٩٩م . غير أنه بعد عامين من إنتظامه في الدارسة بالكلية الحربية طلب الإستعفاء لأنه فيما يقول في ديوانه (رايت أن لا أمل لي في التّرقي وأن كنت أول الناجحين في الإمتحانات ، والسبب فيه أن نظام التّرقي للسودانيين هو الأقدمية لا بالتفوق العلمي كنظام التلامذه المصريين)[١]فأرسل طلباً لاستعفائه فقبل طلبه .

نجد أن الباحث في حياه العباسي وسيرته وشعره يجد أن ما ذكره في ديوانه لم يكن هو السبب الوحيد في استعفائه من الكلية الحربية فهو كما يبدو منذ نشأته متطلعاً للتفوق والرئاسة لأنه يرى أن اجداده وآباءه من السراةِ وكان كبير النفس ، عالي الهمة وسنقف على نماذج كثيرة من شعره تكشف لنا عن هذه الناحية لذا كان يحن إلى العودة ليؤهل نفسه لرئاسة البيت الديني الكبير خليفة للسجادة السمانية والتي كان يرى أنه أحق بها من أبناء عمومته (أبناء الشيخ الدسوقي – الشيخ قريب الله) الذين نازعوه فيها وانتصروا عليه .

---

(2) ازاهير الرياض الطبعة الاولى (ص ٨) .

(1) ديوان العباسي محمد فريد أبو حديد . (ص ١١) .

وسمّت سبب ثالث ذكره الشارح لقصيدة العباسي التي أسماها (كفاح مصر) في الطبعة الثانية من ديوانه عن البيت الذي يقول فيه :

لولاهمو ما أضطرمت السيف تعرفه ** كفي ولا إرتضيت من بعده القلما[٢]

وذكر أن الشاعر يشير إلى بعض زملائه في المدرسة الحربية وقد كانوا هم السبب في كراهيته للمدرسة وخروجه منها وذلك حسداً منهم لتفوقه عليهم فأساءوا إلى سمعته عندما رأو منه الميل إلى مجالس اللهو في شبابه فآثر العباسي العافية والنجاة بنفسه من مقبة سوء الأحدوثة ، خوفاً من أن يمسه ما يشين فيلحق به وببيته الكريم العار .

وفي أثناء دراسته بالكلية الحربية نشأت بينه وبين الشيخ عثمان زناتي مدرس اللغة العربية بالمدرسة الحربية صلة روحية عظيمة فقد كان الشيخ يقربه إليه دون بقية التلاميذ خاصة عندما علم بحفظ شاعرنا للقرآن وإلمامه بالنحو والعروض فعمل على توجيهه أدبياً من خلال ما كان يمليه على تلامذته من الشعر ومطالبتهم بحفظه مما كان له أكبر الأثر في منحى شاعرنا الأدبي وقد ذكر ذلك في مقدمة ديوانه مثل :

أرى الناس أعدائي إذا أزورّ جانبي ** ودكت جبال الحادثات جبالي
فليس أبي في الحادثـات أبي كما ** عهدت ولا خالي هنالك خالي

وكذلك :

ما أنت وأصلةٌ ولا أنا سـالي ** صدق الهوى وكذبتُ في آمالي
كان الشبابُ إلى رضاكِ وسيلةً ** أيام كنْتِ ترينـه سربالي[١]

ولم يذكر شاعرنا في ديوانه أثر هذه الأبيات على شعره وكذلك لم يفعل أولئك الذين كتبوا عن حياته على الرغم من أن هذه الأبيات قد أثرت في شخصيته وتكوينه الأدبي فقد علمته الإنطواء على النفس والإبتعاد عن الناس إلا الخاصة لأنه يرى الناس أعداءه إذا أزورّ جانبه ودكت جبال الحادثات جباله كذلك كان لأبيات

---

(2) المرجع السابق (ص ١٧٨) .

(1) مقدمة ديون العباسي الطبعة الثانية ١٩٥٤ م (ص ١٠) .

النسيب وقعها على شعره فكثيراً ما كان يحن إلى شبابه في شعره حينما تقدمت به السن لأن الشباب وسيلة لارضاء الغواني فلما ذهب زال معه هواهنّ .

فأنا أعتقد أن الأبيات التي لقنها له الأستاذ عثمان زناتي هي مفتاح طبيعته الفنية ولولا ذلك لما خصها بالذكر في مقدمة ديوانه دون غيرها على الرغم من العهد البعيد الذي مر عليه لأنها انطبعت في ذاكرته وقلبه .

رجع العباسي إلى الخرطوم بعد إجابة رغبته في الاستعفاء من المدرسة الحربية وهو مفعماً بذكريات أرض الكنانة التي تمثل باكورة شبابه وصاحبة الفضل الأكبر في ثقافته ومما ضاعف قدرها ومكانتها عنده الأحداث التي ألمت به بعد استعفائه من المدرسة الحربية فقد عاد ليشتغل بدراسة كتب الفقه الحنفي على يد والده الشيخ محمد شريف وأخذ دروس الأدب على يديه من نظم البيت أو البيتين وكان معظمه في هذه الفترة موجهاً إلى شعر التصوف ومجاراة قصائد التصوف المشهورة فيقول العباسي عن فضل والده عليه :

فقد طالما أسدى العوارف جمة ** إلىّ وكم براً حباني وكم نعمى

وعلمني كيف الوصول إلى العلا ** وكيف لها أسعى إماماً ومؤتما

فيا رحمة الله أغمري جدثاً حوى ** بممرح في أحشائه الحزم والعزما[1]

ويا برق طالع مطلع الفضل والندى ** وقل للسحاب الجون آيتك العظمى

وقد أتيحت للعباسي فرصة صحبة والده إلى أرض الكنانة مره أخرى في أمور تخص الطريقة السمانية وكان ذلك في عام ١٩٠٦م وهو في رحاب هذا الرباط الروحي بوالده يفجع بوفاته في عام ١٩٠٧م وكان عمر شاعرنا آنذاك ثمانية وعشرين عاماً مما أدى إلى نشوب الخلاف بينه وبين أبناء عمومته أبناء الشيخ الدسوقي والشيخ قريب الله على زعامة السجادة السمانية والتي كان والده يعده لها من خلال تنشئته والذين حسدوه على تفوقه فاجتمعوا على عدم زعامته للسجادة السمانية وانتصروا عليه فتبدد الحلم الذي طالما سعى سعياً جاداً إلى تحقيقه مجبراً نفسه على

---

[1] ديوان العباسي – الطبعة الثانية – دار البلد – قصيدة بنو أبي – ص (١٥٧) .

قيود صارمة وسلوك محدد لا يتفق وحاسته الفنانة فيحاول أن يكتم هذا الحزن الشديد خوفاً من الشماتة على حاله ولكنه يفيض إلى وجه يغالب الكتمان فيعاتبهم حيناً حتى إذا استبد به الغيظ هجاهم هجاء ينم عن إعتذاز بمكانته أكثر من نيله منهم يغالبه في كل هذا صلة رحم يحفظ ودها القديم ومجد قادتها الأول . فيقول[٢] :

وللدهر حكم لا يرد قضاؤه ** فمن ذا الذي إن شاء رد له حكما
فقد شاء أن أبقى بقوم أفيدهم ** ودادي وأجزيهم على جهلهم حلما
إذا قمت أبني في حماهم معاقلاً ** من المجد راحوا يسرعون لها هدما
فلله كم لي فيهم من صنائع ** جسام وكم حملت نفسي بهم هما
أناضل عن أحسابهم في مشاهد ** يكلفني فيها طلاب العلا غرما
وإن ما رأوا من حادث الدهر أسهما ** بمرمى تمنوا أنني ذلك المرمى
على أن أحشائي تذوب عليهم ** حناناً وحتى كدت أقضي لهم غما
وما نقموا مني ذنوباً جنيتها ** عليهم ولا عاراً أتيت ولا إثما
عزرتهم إذ أن شأني وشأنهم ** لضدان ما من أبصر الأمر كالأعمى

وعندما لم تجدي الشكوى والعتاب لجا إلى ما يسلو به عن هذا الصراع والتسليم لأبناء عمومته بالزعامة .

وفي هذه الفترة كثر الشعر الذي نظمه في ارض الكنانة لأنه كان يرى فيها الملاذ الآمن والقلب الحنون والأم الرءوم التي تحفظ الود لأبنائها وتعمل على راحتهم وتسهيل سبل العيش الكريم لهم فما شكي شاعرنا من حادثٍ ألم به أو مصيبةٍ حلت به إلا وروَّح عن نفسه بذكرى شبابه الغضِ في مصر التي رعته أدبياً وثقافياً وحفظت له حقوق الأديب ووجد فيها حريةً وانطلاقاً لم يعرفه الفتى فى بيئته الصوفية الملتزمة بقواعد صارمة في السلوك . يقول :

مصر وما مصر سوى الشمس التي ** بهرت بثاقب نورها كل الورى
ولقد سعيت لها فكنت كأنما ** أسعى لطيبة أو إلى أم القرى
وبقيت مأخوذاً وقيّد ناظري ** هذا الجمال تلفتاً وتحيرا
فارقتها والشعر في لون الدجى ** واليوم عدت به صباحاً مسفرا [١]

---

[2] المرجع السابق – ص (١٥٥)

[1] ديوان العباسي – الطبعة الثانية – دار البلد – ص (٢٧) .

ذكر محدث لحسن ابشر الطيب فقال (انك لم تر العباسى فى شبابه فقد كان من اجمل شباب عصره وانضرهم عودا وعندما كان فى المدرسه الحربيه بالقاهره كان محط اعجاب فتيات القاهره به اذ كان فارع الطول واضح الرجوله وسيما نضرا)[٢]
فيقول العباسي مختالاً بنفسه :

بعد أن كنت الذي يطأ الثرى ** زهوا ويستهوى الحسان تبختراً

وظلت أيامه الزاهية في مصر حيّة فى ذاكرته فما ذكر الشباب الاوذكر مصر :

مصر وأيام الشباب ** الغض من لي بهما
وفتيه سامرتهم ** فاقوا الزمان همما
وعزمه صارمةً ** تنطح أبراج السما
زين الشباب حملوا ** مع السيوف القلما
هذا يمج حكمةً ** وتلك فى الهيجا دما
وكان غصني مورقاً ** والدهر لى مبتسما
أخذت أسباب الهوى ** واليوم صارت حلما[٣]

وقد جال شاعرنا فى رياض الكنانة الفيحاء واستمتع بزيارة معالمها البارزة فأخرجه كل ذلك من دنيا الحلم وجعله يعيش الواقع الحي المونق المخضر .

ولي بمصر شجنٌ ** أجرى الدموع عندما
فارقت مصر ذاكرا ** أرجاءها والهرما
والنيل والجزيرة ** الفيحاء والمقطما
ربوع خير طالما ** أسدت الى أنعما[١]

فإذا استبد به الحزن الذى كان جاسما على قلبه ذكر مصر فعادت الى خاطره الصور المحببه الى نفسه .

اه لوكان لى بساط من الريح ** أوافيه أو قوادمُ نسر
فاطيرنّ نحو مصر اشتياقا ** انها للأديب احسن مصر

---

(2) العباسي الشاعر التقليدي المجدد د . حسن أبشر الطيب .

(3)ديوان العباسي – الطبعة الثانية – دار البلد – ص (١٢٦) .

(1) ديوان العباسي الطبعة الثانية – دار البلد – ص (١٢٥) .

والمتأمل لديوانه يعلم ماكانت تمثله مصر لشاعرنا ومدى وفائه وإيمانه بفضلها عليه وعلى السودان .

وبعد كل ذلك عمل العباسى على ايجاد ملاذ مكانى بعد ان عثر على الملاذ الوجدانى فى مصر ، ملاذ مكانى ليستقر فيه بعيدا عن كل ما يذكِرِه بنكباته المتواليه : وجور الزمان عليه وظلمه له فوجد هذه المواصفات في بادية الكبابيش لما لمسه من اهلها من ولاء واعتقاد فى والده ولما تنسم من الطيب في هوائها والبساطة والعفوية فى أهلها ولما حبوه به من الاحترام والتقدير مما أنساه بعض الاضطهاد الذي عانى منه كثيراً فآثرها على حياة المدن.

يقول حسن نجيله : [٢](وفى عام ١٩٣٢م وأنا في بادية الكبابيش سمعت عنه من بعض البدوين السُذج الذين كانوا يحبونه ويجلونه برغم انهم لا يعرفون من شعره شيئا، ولكنه كان يعيش بينهم كواحد منهم عده اشهر من كل عام ، كان مولعا بحياة البادية ، يؤثرها على حياة المدن ، وقد جاب ودیانها وسهولها وجبالها وأحياءها ولم يترك منها مكاناً لم يزره ويبقي فيه ردحاً من الزمن يتملى جماله وروعته ، وقليل من البدويين أنفسهم من جاب تلك الصحراء الواسعة مثل ما فعل العباسي) [٣].

وكان حبه للبدويين والبادية صادقاً عميقاً إمتزج بمشاعره وتجلى واضحاً في شعره الذي ناجى فيه البادية وأحبابه فيها ، وكان مثل البدويين ينتقي من الأبل أصلها وأحسنها مرأى ومخبراً ، وقد أشتهر بين البدويين بإستجلابه للإبل والنوق الجياد ينتقيها من خيرة الجمال والنوق في شرق السودان فيظل متنقلاً بين أحيائها المختلفة حتى يلقاه أحبـابه

---

[2] ذكرياتي في البادية – للأستاذ حسن نجيلة – طبعة بيروت – ص (١٦٧) .

[3] نفس المرجع السابق – ص (٦٨)

ومريدوه وأصدقاؤه بحفاوة البدوي التي لا كلفة فيها ولا رياء وكانت تعجبه تلك البساطة في حياتهم والصدق في شعورهم) [١].

وايضا يقول ((وفى حى "أولاد طريف " حيث يعيش عدد كثير من أحبابه ومريديه كنا نجلس مع اولئك الاحباب وهم يحيطون به احاطة السوار بالمعصم وكانت نساءهم وبناتهم من حولنا فى براءه يتقدمن الى الشيخ العباسى ويقبّلن يده في إكبارٍ واحترامٍ))[٢] وكيف لا يحبهم العباسى هذا الحب العميق وهم الذين ساندوه وكانوا له ساعداً عندما وجد من أبناء عمومته خصومة وتنكراً له فيقول فيهم :

هم القوم كانوا لي على الدهر ساعداً ** لتحقيق آمالي وحسن ظنوني

سأحفظ فيهم ذمة اللهو الهوى ** وأسكب في الأطلال ماء شئوني

شغفت بهم حباً فزاد توجهي ** وطال إلى أهل الخيام حنيني

فوجدي بهم وجد الحمائم في الضحى ** تجاوب بالتغريد فوق غصون

رعى الله هاتيك الخيام وأهلها ** وأروى ثرى الأحباب ماء دجون

فإن عشت عاش الود في القلب سالماً ** والا فلا فضل بحسن يقيني[٣]

ولعل ما زاد ارتباطه بالبادية ذلك الهوى المشبوب الذي كان في ربوع الحمراء والذي ملك عليه فؤاده وشغل قلبه وشغفه حباً وهياماً بعث روحه من جديد وجدد الدماء في عروقه بعد أن كادت تنضب من ملمات الزمان الذي لم ينصفه . وما كان لقلب كقلب العباسي ووجدان كوجدانه المشبوب إلا ينفعل بهذا الجمال البدوي الساحر من حوله وفي قصيدته (داره الحمراء) يشير صراحة إلى هذا الحب العنيف فيقول :

قل للغمام الأربد ** لا تعد غور السند

وحيّ عني دارة الحمرا ** وقل لا تبعدي

منازل يا برق أروت ** أمس غُلّة الصدى

يا ويحها كم نظَّمتْ ** شمل هوى مبدد

قالوا غداً يوم الفراق ** قلت بعداً لغد

---

(1) ذكرياتي في البادية الأستاذ حسن نجيلة .

(2) المرجع السابق – ص (١٧٠) .

(3) العباسي – الشاعر التقليدي المجدد – د . حسن أبشر الطيب – ص (٣٢) .

إلى أن يقول : -

سبحان رافع الـ ** سماوات بغير عمد
لو شاء أدناني إلى ** ظلِّ الجَناب الأسعد
مأوى الحبيب ذي البها ** شمس الملاح الأوحد[١]

وفي قصيدته التي أنشدها وهو بعيد عن بادية الكبابيش في "قضروف سعد" أثارته الأشواق إلى الحبيبة وهي بعيدة فقال :

هواي بنجد والمقُام تهامةٌ ** وهيهات ما تدنو تهامة من نجد
هوى زاده كرّ الجديدين جدةً ** سيبقى بقاء الوحي في الحجر الصلد
فيا دراة الحمرا بالله بلّغي ** هناك حبيباً بين كثابنك الرُّبد
بأني لا أنسى وأن شطت النوى ** ليالي وصال غير مزمومة العهد
مُنّىً قد أخذناها من الدهر خلسةً ** بزهرة ذاك الحيِّ في عيشه رغد
فلم يبق منها اليوم إلا حديثها ** وطيفٌ يُريني الصد في صورة الوعد
أحنّ إليهم والديار بعيدةٌ ** وإن كان لا يدني الحنين ولا يجدي
فمن لي بمن يملي الأحاديث عنهم ** ويا ليت شعري ما الذي أحدثوا بعدي
ويا هند لا والله ما خنت عهدكم ** ولكن ضرورات التجول والبعدِ[٢]

ويذكرها وهو واقف ليحي يوم التعليم فلا يملك إلا أن يحيها على البعد قبل أن يخلص إلى موضوع قصيدته فيقول :

يا برق طالع ربا الحمرا وزهرتها ** واسق المنازل غيداقا فغيداقاً
وإن مررت على الحِتّانِ حيّ به ** من المناشط قيصوماً وطُبَّاقاً
ومن إذا سمعوا من نحونا خبراً ** والليل داجٍ أقاموا الليل أيراقا[٣]

وما أكثر ما أشاد بهذا الحب العفيف في غير هذه القصيدة أو تلك كقوله :

هــواي إن تسألوني	**	**ذات الخباء المطنّبِ**
رمت فأصمت بسهم	**	**أعشار قلب مقلب**[٤]

---

[1]ديوان العباسي - دار البلد - الخرطوم (١٩٩٩م) تقديم الأستاذ محمد فريد أبو حديد - ص (١١٠) .

[2]المرجع السابق - ص (١١٤) .

[3]المرجع السابق - ص (٨٧) .

[4] المرجع السابق - ص (١٤٣) .

لهذه الأسباب مجتمعة ومتصلة أحب العباسي بادية الكبابيش حباً ملأ عليه شغاف قلبه وجعله يرى في البدو أهله وعشيرته ورهطه ونفره الذين يهواهم ويعزهم ويجلهم إلى درجة مقاطعة عيش المدن إلا لماماً قاصداً صديقه العزيز يوسف بدري الذي رثاه بقصيدتين عند وفاته ومما يؤكد صدق ما ذهبنا إليه قول الإستاذ حسن نجيلة (كنا في مستهل الصبا مولعين بقراءة كتب الأدب والشعر وتتبع آثار شعرائنا وحفظ ما يروق لنا من أشعارهم وبدأت معرفتي بالعباسي عن طريق شعره ، ولم أره فقد ، كان عازفاً عن إجتماعات الأندية وإعتلاء المنابر في المناسبات التي يتهيأ إليها الشعراء وفي تلك الفترة كنا نستمع إلى البنا ،وعبد الله عبد الرحمن ، وأحمد محمد صالح ، وعبدالرحمن شوقي ، وصالح عبد القادر، وغيرهم من شعراء الجيل الذي تتلمذنا عليه وأخذنا عنه وتأثرنا به ولكننا كنا نسمع عن العباسي ونروي ما يصل إلينا من شعره دون أن نراه على منبر من المنابر وكنا نحس في شعره بحرارة الوجد وسمو المعنى ومتانة النسج فنحبه ونجله ونتشوق إلى رؤيته)[١].

ولم تكن تجربة اللجو إلى الصحراء أولى محاولاته لاعتزال المجتمع والبعد عن ضوضاء الحياة ففي سنواته الأولى أمعن العباسي في التصوف واعتزل العالم بمشاكله وصداماته وصراعاته وأخلى قلبه وحسه لنداءات الحب السامي والتقرب إلى الذات فنظم في ذلك قصائد تصور تأثره ببيئة التصوف التي كان يعيش فيها كما تمثل إتجاه المحاكاة في نظم الشعر فنراه يحفل بالتشطير والتخميس ويجري ذلك على أشهر قصائد المتصوف كأبي مدين الغوث والشبلي كما نظم قصائد صوفية صرفه مثل (النفحات السمانية)،(عبر الأيام) ورأي كثير من الذين أطلعوا على هذه القصائد وتناولوها بالشرح والتحليل ضعف الإسلوب وعدم موافقتها لقواعد النحو مما جعلهم يحكمون بأن التصوف أنما فرض فرضاً على شاعرنا الكبير بحكم النشأة والبيئة الدينية الملتزمة التي ترعرع فيها واستدلوا على ذلك بما عبر عنه في بعض قصائده من هذه البيئة التي منعته من إطلاق سجيته وحاسته الفنانة المرهفة مثل قوله [٢] :

مولاي هب لي منك عارفه فإن ** ي خائف – والله – هول المرجع

أنا ذو إفتقار للنوال وليس لي ** إلا الرجا وخفي لطف المبدع

نفسي تعاصيني القياد وترتمي ** نحو الهوى بتشوق وتسرع

---

[1] ذكرياتي في البادية – حسن نجيلة (ص ١٦٨) .

[2] ديوان العباسي – دار البلد – الخرطوم (١٩٩٩ م) ص (٢٥٧) .

(وهو عميق الإحساس بما يفرضه عليه مذهب أجداده من التزام وهو التزام لا يملك أن يجتازه برغم إحساسه بأنه يثقل كاهله) [٣] وقوله أيضاً :

قلت يا هذي اقصري عن مقال ** لست تدرين منه ما لست أدري

أثقلت كاهلي مذاهبُ أشياخٍ ** كرامٌ شُم العرانين زهرٍ

أرهفوا من حدي وقد علموني ** كيف أفري لدي الصنائع وفري

لا أمل السرى ولا أترك السعي ** إتكالاً على المقادير تجري [١]

ويقول إيضاً في قصيدته (ذكريات) :

يا من وجدت بحيهم ما إشتهى ** هل من شباب لي يباع فيشترى

ولو أنهم ملكوا لما بخلوا به ** ولا رجعوني والزمان القهقري

لأظل أرفل في نعيم فاتني ** زمن الشباب وفته متحسراً [٢]

هذا التحسر المتصل على أيام الشباب وما فاته منها لا يكاد يخطئه حتى القاري المتعجل للديوان فجل قصائده قدْ حُظيت بأبياتٍ عدة في ذكرى الشباب ، وعزي هذا في رأي معظم الذين كتبوا عن العباسي خاصة الدكتور حسن أبشر الطيب إلى أن العباسي قد أخذ نفسه في شبابه بمذهب شديد التحفظ والتزمت أملاً منه في الوصول إلى زعامة الطريقة السمانية ولكنها أمنية لم تتحقق ، والتفت فإذا بأيام الشباب قد انقضت فلم يجد بداً من اجترار الذكريات الماضية والتحسر على عدم اكتمالها ، ولعله قد عاش في نهاية تجارب قصة حب عنيفة ولكنه كبتها ولم يصرِّح بها إلا فيما صدّر به بعض قصائده من نسيب وربما وضعها فى موضع النسيب للتقتية لان هنالك من يعتقد انه بمثل هذا النسيب يجاري شعراء المتصوفه ولا يتحدث عن تجربة ذاتيه او ينتهج اسلوب الشعراء القدامى تقليدا لهم فى الوقوف على الأطلال والدمن والبكاء عند آثار المحبوبة افتعالاً وتقليدا ، ولكني أرى أن مثل هذا التعليل لا يمكن إرساله على النسيب الذي صدر به العباسى قصائده ففيه نجد وجداً وشوقاً وعاطفةً لاتتأتى لمن لم يعش التجربه وفيها تلمس تجديداً يعينك على معرفة محبوبةٍ كان يهيم بها ، بل انه قد ذهب اكثر من هذا وحدد لشعره دائرة هى اقرب ماتكون الى دائره موضوعات المتصوفة وانه لم يلتزم بها ، ولكنها دلاله

---

[3] العباسي الشاعر التقليدي المجدد . د. حسن أبشر الطيب – دار البلد (١٩٩٩م) (ص ٢٢) .

[1] ديوان العباسي – دار البلد – الخرطوم (١٩٩٩م) ص (٤٨) .

[2] المرجع السابق – ص (٢٨)

قويه على انها كانت فى عقله الباطن تزين له تصوير تجارب دون غيرها واكبر دليل على صدق ما ذهبنا إليه قوله :

ان فـــى دولـــة البـــيان جنـــوداً ** بعضـــهم قـــادةٍ بعـــض ســـاقةَ
سـم شعـرٍ مـا صـيغ للغـرض الأ ** سـمى وإلا فقـل شعـار الحماقـةَ
والأديـب الأريـب قبـل رضـاء الخلـق ** يرضـــى بشـــعره خـــلاقه [٣]

ونتساءل ما الأغراض السامية التي يرى العباسي ان الشعر وقفُ عليها ؟ هل هى أغراضً اتفق حولها الشعراء والنقاد أم هي متروكة لكل شاعر على حسب هواه ومعرفته ؟ ماشان اولئك الشعراء الذين يخرجون على هذه الاغراض الساميه هل يخرجهم ذلك من عِداد الشعراء وان ابدعوا فى تصويرتجاربهم الذاتيه ؟.

وغرضنا من هذا التساؤل توضيح أن العباسي قد حدد لنفسه نهجاً اسماه المعاني الساميه وربما لم يلتزم بها إلتزاماً حرفياً ولكنه قد أثَّر عليه على نحو أو آخر فى مجمل شعره وهو لاشك قد حدَّ من درجة الانطلاق المتوقع من شاعر مطبوع مقتدر مثله.

وانا لا اتفق مع د. حسن ابشر الطيب ولا مع كل الذين عزوا عدم انطلاق العباسى الى بيئتة الصوفيه الملتزمه المحافظة برغم انى أرى اثر هذه البئيه فى توجيه شعره وارى انه توجيه اختاره بمحض ارادته وبكامل اختياره وبكل قناعته وذلك لانه كان بامكانه الانطلاق والتحرر من قيود هذه البيئه والاستجابه لروح الفن وامتاع نفسه بكل ما يرغب فيه كما فعل غيره كثير من الشعراء الذين لم تحد تربيتهم الدينية من انطلاقهم وتحليقهم فى سماوات الابداع والفن المحفوف بالمتعه والإثارة والترويح واذكر على سبيل المثال لا الحصر شاعرنا الكبير محمد المهدى المجذوب والذى ترعرع وشب واصطلى بنار تقابة المجاذيب والمتأمل لقصيدته التي أوردناها في حديثنا عن البادية السودانية والعربية يصف فيها امرأةٍ قد جلست على حفرةِ الدخان طلبا للإصطلاء والزينه لا يسعه الا ان يغير رأيه في أن البيئة الملتزمه تحد من الانطلاق

---

(3) ديوان العباسي – دار البلد – الخرطوم (١٩٩٩ م) ص (٨٦) .

إلا اذا كان هذا التحفظ من طبع الشاعر وليس تتطبعاً فيه كما يذكرنا أيضا بالشريف الرضى الذى نشأ فى بيت خلافةٍ ودين ودرس اللغة والبلاغة وحفظ القرآن من أسرةٍ تنتمي في نسبها إلى علي بن أبي طالب وكانت تسمى بالأشراف ، وكان يرى في نفسه ما يؤهله للخلافة . يقول في محبوبته :

عندي رسائل شوق لست اذكرها ** لـولا الرقيب لقد بلقتها فاك [١]

فلماذا لم يذكر هذه الرسائل ؟ ومن هو الرقيب له غير ضميره الذي توجهه تربيته الدينية .

ونخلص إلى أن نشأة العباسى وحياته في بيت علم ودين وزعامة سياسة ودينية كانت مصدر قوة وضعف في شعره ، فقد ثقفته ثقافة لغوية ودينيه عميقة وأذكت طموحه ولكنها من الجانب الآخر قيّدته وفرضت عليه سلوكاً خاصاً قد يعارض في بعض صوره طبيعته وميله للانطلاق والاستمتاع بمختلف جوانب الحياة ، صراع مرير بين حاسته الفنانة ومذاهب أجداده الذين يجلهم ويترسم خطاهم .

[1] ديوان الشريف الرضي – المجلد الثاني – توزيع دار صادر بيروت – ص (١٠٧) .

المبحث الثاني
الطريقة السمانية وأثرها في توجيه شعر العباسي

الطريقة السمانية هي إحدى الطرق الصوفية المتعددة وتقوم على نفس طرائق السادة الصوفية عموماً وهي ستة أشياء : التوبة ، العزلة ، الزهد ، التقوى ، القناعة ، والتسليم . وأركانها ستة أيضاً : العلم ، الحلم ، الصبر ، الرضا ، الإخلاص ، الأخلاق الحسنة في الصبر على الأمر المقضي وأحكامها ستة: المعرفة ، اليقين ، السخاء ، الصدق ، الشكر ، التفكيرفي مصنوعات الله تعالى وواجباتها ستة أيضاً : ذكر رب العالمين ، وترك الهوى والدنيا ، اتباع الدين ، الإحسان إلي المخلوقات ، فعل الخيرات وربطها وإلزامها المبايعة وهي أن يأمر الشيخ سالك الطريق بأن يتوب من جميع الصغائر والكبائر ثم يقابله بوجهة ويضع يده على يده ويأمره بأن يغمض عينيه ويقول لا اله إلا الله – ثلاثة مرات – والمريد يسمع فيقولها المريد ويسمع الشيخ ويقرأ التبرك .

قوله تعالى : (إن الذين يبايعونَك إنما يبايعون الله ، يَدُ الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكثُ على نفسِه ومن أوْفى بما عاهد عليه الله فسيؤتِيه أجراً عظيماً) [١]

ثم يدعو الشيخ للمريد ويوصيه بما فيه إرشاده ونفعه من الأوراد وفي بعض الأحيان يقرأ الشيخ عند مبايعته للمريد البسملة والفاتحة والإخلاص والصلاة على النبي (ص) بلا انتقاص [٢]ومؤسسها في السودان ومصر هو الشيخ احمد الطيب جد العباسي لابيه وكان ورعاً تقياً ذا مكانة دينية مرموقة وقد أخذها عن القطب محمد بن عبد الكريم السمان حينما ذهب الى المدينه المنوره لأول مرة وكان عمره آنذاك خمساً وعشرين سنة الموافق ١٧٦٤م وكان ذلك بداية انتشار السمانية في السودان ثم توجه إلى مصر عام ١٧٧٤ م بتوجيه من الشيخ محمد عبد الكريم السمان أي انتشار الطريقة السمانية بمصر كان بعد عشر سنوات من انتشارها بالسودان .

وتعتمد الطريقة السمانية على خمسة طرق تشكل روافدها وهي حسب اخذ مؤسسها العلم من أساتذته .

---

(1) سورة الفتح الآية (١٠)

(2) انظر كتاب أزاهير الرياض للشيخ عبد المحمود نور الدائم (ص ٧٧) .

الطريقة النقشبندية :

هي طريقة الشيخ بهاء الدين النقشبندي البخاري وهي عباره عن دوام العبودية ظاهراً وباطناً مع كمال الالتزام للنيه والعزيمة واجتناب البدعة والرخصة مع دوام الحضور مع الله تعالى ، ولابد للمريد من اتباع خلق النبي (صلى الله عليه وسلم) وكيفية الذكر فيها التصاق اللسان بلا اله الا الله اى لا مقصود الا الله ويقول في اخرها محمد رسول الله ويريد به الإتباع والتقييد وأقل الذكر خمسة آلاف .

الطريقه الخلوتية :

هي طريقة الشيخ محمد الخلوتي وقد احتوت على اكثر من ثلاثمائة ايه كل يوم وليله في كتاب الله تعالى واكثر من خمسمائة صلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) وعلى اكثر من ثلاثمائة استغفار وتلاوة اسماء الله الحسنى كل يوم وعلى قراءة سورة الاخلاص ويشترط في المريد تقليل الطعام والكلام والمنام والاجتماع على الأنام مع ذكر الله تعالى على الدوام وصحبة شيخ عارف ، ولابد للمريد ان يكون ذا اجتهاد وصدق .

الطريقة الانفاسية :

سميت بذلك لمصاحبتها وملازمتها الأنفاس في خروجها ودخولها وكيفيتها : اذا خرج منك النفس تقول الله وإذا دخل تقول هو .

وطريقة الذكر فيها أن تكون اعدادها ألفين أو سبعة آلاف أو أحد عشر الفاً او خمسة وعشرين الفاً فإذا لازم المريد على واحد من هذه الأعداد على صحبة الشيخ الكامل يفوز بالمراد.

الطريقة الاسمية أو الطريقة الموافقة :

وهي التي تكون بأسماء الله الحسنى ولا تؤخذ إلا منها ويكون ذلك بأنفاس الشيخ الكامل المرشد المربي ولم يشتهر بها أحد في السودان إلا الشيخ أحمد الطيب .

الطريقة القادرية :

هي طريقة الشيخ عبد القادر الجيلاني وشرط السلوك فيها ان يكون مصحوباً في البداية باستحضار جلال الله تعالى وعظمته واساسها الاستغفار ولفظته استغفر

الله الغفور الرحيم والصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) وصيغتها : اللهم صلي الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم وتتراوح أعداد أورادها بين الصلاة على النبي والاستغفار والتهليل بين سبعة آلاف إلى مائة وخمسون الفاً .

ولما كانت السمانية هي إحدى الطرق الصوفية فهي في جوهرها طريقة تعبدية تدعو إلى إنكار الدنيا ، والانقطاع والعكوف على العبادة والتجرد لذكر الله والتفاني في حبه . وهو مذهب يقود – لا جدال – إلى الزهد في الاستمتاع بالحياة الدنيا ، ومجاهدة النفس جهاداً عظيماً يشق على العامة من الناس ولا تستطيعه إلا قلة منهم يقول الفضيل بن عياض وهو من الزهاد الأوائل (طوبي لمن استوحش من الناس ، وآنس بربه وبكى على خطيئته) .

إن المتأمل لأشعار المتصوفة لا يجد فيها ذلك التنوع في الموضوعات (مدح ، زم ، هجاء ، غزل ، نسيب ، رثاء) فهي مقصورة على الدعاء والمناجاة والتوسل وما يصحب كل ذلك من جذبات روحية قد تقودهم في بعض الأحيان إلى تأملات فلسفية في معنى البقاء والفناء أي حقيقة الوجود ومن هذا المنطلق كان العباسي معتدلاً بين تشدد المتصوفة وحاسة الفنان المتذوقة لم يتطرف فيكبت روح الشاعر ، ولم ينفلت فيتنكر إلى بيئته الدينية التي ترعرع في أحضانها واصطلى بنار القرآن فيها لذا لا يمكن لشاعرنا أن يكون في عداد المتصوفة إذا طبقنا عليه معاييرهم السابقة ولكن اصدق مقولة في حقه كانت بلسان ابنه الطيب محمد سعيد العباسي (كان راهباً بالليل ، أديباً بالنهار مخلصاً لله) .

كما أن موضوعات الشعر تتعدد عنده لتشمل كل الأغراض وتقرأ شعره فيسحرك عشقه للحياة وتغنيه بها وافتتانه بأيامه الزاهية التي قضاها بين بادية الكبابيش وارض الكنانة مستمتعاً في كليهما بمباهج الحياة على نحو يتفق مع طبعه وذوقه فإذا جارت الأيام وضنت بتحقيق أمنيات كان يمني نفسه بها وأكبرها زعامة السجادة السمانية قاده ذلك إلى شكوى مريرة من زمانه وهجا من وقف دون مراده هجاء هو أشبه ما يكون باللوم والعتاب وهو في كل ذلك معتزُ اشدّ ما يكون الاعتزاز بنفسه ، معجبُ بها كل الإعجاب مفاخر بها كل الفخر وكل هذه الصفات تختلف اختلافاً بيّناً على مذهب المتصوفة عامة الذي يدعو إلى الصبر وهذا يناقض

الشكوى كما انه ينادى بالزهد والتقشف ومجاهدة النفس وهذا يخالف مذهب العباسي في الفخر والاعتزاز القوي بالنفس وهم قبل ذلك منقطعون للعبادة في عزله عن الناس ناهيك عن الدخول معهم في صراع يقودهم إلى الفخر أو الهجاء ، أما العباسي فقد اخذ من هذا جميعاً ، يعيش حياته مستمتعاً بها متذوقاً لها تذوق الفنان ذاكرا ربه ، متعبدا في غير مقالاة مؤمنا أشد ما يكون الأيمان .

ورأينا بان العباسي لا يعد من شعراء المتصوفة لا ينفي انعدام الأثر الصوفي في شعره فالانقطاع إلى وجه معين شئ ، والتأثر به دون التقييد به تقيداً كاملاً شئ آخر فما كان لرجل عاش في بيت علم ودين مُفعّم بالنفحات الصوفية أن يخرج من هذه الأجواء الرحبة دون أن تؤثر في حياته وشعره بأي وجه من الوجوه فقد نشأ العباسي وترعرع في بيت مفعم بالنفحات الصوفية فجده احمد الطيب مؤسس الطريقة السمانية في مصر والسودان

ولد الشيخ أحمد الطيب سنة ١٧٣٩ م في الجانب الغربي من أم مرح شمال إمدرمان عرف بالإستقامة وكرم الخلق وكان محبوباً منذ صغره [١] ووالده محمد شريف نور الدائم أستاذ المهدي الكبير فلا شك انه قد استمتع في فترة صباه بحلقات الذكر التي يترنمون فيها بالمدائح النبوية وهي حلقات وحوليات يفد إليها الاتباع من كل صوبٍ وحدْب وتحاط بكثير من الإجلال والتقدير ، كما كانت معرفته الأولى بالشعر وسحره عن طريق هذه الأوراد والمدائح النبوية فقد كان والده يحثه على حفظ شعر الأقدمين ويدفعه إلى قرض الشعر ، وزهد والده وتصوفه وشعره الصوفي يجعلنا نميل إلى القول بان جل هذا الشعر الذي حثّ الصبي على حفظه هو من عين شعر المتصوفة بل وربما حثه على غرض الشعر في المعاني ذاتها التي تتصل بأشعار المتصوفة وقد اعجب ببعض الشعر الصوفي ويتضّح من احتفائه وتقديره العظيم لاثنين من كبار شعراء المتصوفة في السودان أولهما عمه الشيخ عبد المحمود بن الشيخ نور الدائم صاحب ديوان (شرب الكأس) الذي يحوي شعراً رصيناً كله من تجارب الصوفية وقد صرح العباسي عن إعجابه بهذا الديوان بقوله :

وقرانا أشعاره فارتنا ** صورة من مهلهلات الوليد

فهي في نسجها البديع برودٌ ** احكموا وشيها بأرض تزيد

---

[١]الشاعر السوداني محمد سعيد العباسي – د. أحمد عبد الله سامي – دار الإرشاد للطباعة – الخرطوم ص (٢٠- ٢٣)

واعترانا من شعره في شرب الكأس ** سكر ينسى ابنة العنقود
وله في علم السلوك عبارات ** ولفظ كاللؤلؤ المنضود
فتربى منها رجال بآداب ** حسان التوجيه والتجويد[٢]

أما ثانيهما فهو الشاعر المبدع إبراهيم التليب [٣]وقد قال عنه العباسي في حاشية الديوان ((هو الأستاذ الشيخ إبراهيم التليب ، معروف بالسودان قاطبة بشعرة وأدبه وورعه وبنفسه الأبية وتقواه وكان يقول الشعر بسهولة زائدة فيخرجه في رصانة وإبداع قل أن بجارية شاعر فيها ويدَلّ على اهتمام العباسي واحتفاله بشعر التليب قولة في رثائة

شاعر ان شدا حسبناه يروى ** معجزات القريض عن بشاره
فاذا راز[٤] من عصى القوافى ** فهى طوع اقتداره وابتكاره
عبقرى يجلو المعانى كما يختارها ** فى البديع من مختاره
لم يعقه عن نظم غض اللآلى ** نثره النيرات ضمن نثاره
يقتني من ديباجها الخسرواني ** قشيباً والناس اسري معاره

ولكل ذلك كان لابد ان نجد في شعره بعض الصدى لهذه التجارب الصوفية واول هذه المظاهر نجدها في محاولات التشطير والتخميس على النهج نفسه الذي ذهب إليه شعراء المتصوفة فقد شطّر بيتي النفحات السمانية وخمس قصيدة أبي مدين الغوث وبيتىْ الشيخ الشبلي ، ولعله قد فعل ذلك مجاراةً لشعراء المتصوفة وتبركاً بهذه القصائد والأبيات التي يحفظونها وأسلوب التشطير هذا يخرج الشعر من هذا الباب ويدخله في باب النظم لان الشاعر يحتكم فيما يشطّره علي الشكل والمضمون بعينهما وهو أمرُ يحده من حرية التعبير عن عاطفته وأفكاره ناهيك عن التكلف فيه لذا يقول الناقد السوداني حمزة الملك طنبل ((والتشطير وما نحا نحوه فيه إلزامُ للنفس بمشاركة نفس أخرى في ميولها وإحساسها ولكن بلا طائل ، ليسأل قارؤنا أو شاعرنا نفسه عن الفائدة التي يمكن أن تحصل من تشطير شاعر يعيش الآن في السودان أو أبيات شاعر كان يعيش في بلاد العرب منذ ١٠٠٠ سنة انه سيجد الجواب لاشى وإلا فانه سيكون كمن سكب من روحه في كاس غيره

---

[2] ديوان العباسي – دار البلد – الخرطوم (١٩٩٩م) – (١٨٨) .

[3] ديوان العباسي – دار البلد – الخرطوم (١٩٩٩م) – قصيدة رثاء المرحوم الشيخ ابراهيم التليب ص (٢٢٥) على هامش الصفحة .

[4]راز الأمر : حاوله .

فصارت الكأس مزيجاً من روحين ولا يلجا إليه إلا المبتدئين في النظم غير أن النظم شيء والشعر شيئاً آخر والذي يجب أن ننتبه إليه هو الشعور بالجمال)) (١) .

وقد أوضح العباسي انه لجا إلى التشطير لإرضاء ذوق العامة في تقديمه لقصيدة أبى مدين الغوث فيقول (إنها قصيدةً فذةً في بابها وقد لا تجد في السودان من لم يحفظها عن ظهر قلب ولقد خمّسها أكابر العلماء من أئمة المتصوفة كسيدي ((محي الدين بن عربي)) في المتقدمين وسيدنا وأستاذنا الحجه عبد المحمود نور الدائم في المتأخرين لذلك لما رأيت إقبال الناس عندنا علي هذه القصيدة وعلى ما يجرى مجراها أقدمت فخمّستها)) (٢).

نترك محاولات العباسي في التشطير والتخميس لنتأمل التأثير الحقيقي للحياة والشعر الصوفي في شعر العباسي فنجد أولا انه تغني بالخمر علي النهج الذي نألفه ونعرفه عن المتصوفة ، لم يذق شعراء المتصوفة الخمر ، ولكنهم لم يجدوا من المصطلحات ما يعبر عن الغيبوبة التي تبهجهم وهم في التأمل غارقين سوى الخمر التي سمعوا عنها وعن تأثيرها في عقول شاربيها وكذلك كان حال العباسي ، فلم يُعرف عنه شرب الخمر وتربيته وتدينه يدعونا إلى استبعاد ذلك كل البعد فالخمر عنده مجرد لفظ يستعيره لوصف لحظاته الزاهية كحال الصوفية كقولة :

كم قطفنا في ذلك الروض زهرا ** ورضعنا فيه أفاويق درِّ
ومصابيحنا به غرة الساقي ** وبدر من كفه بات يسري
قد ظمئنا لبنت الكرام فهاتى ** كاس خمر يزجي فقاقع حمر
وتعالي نعيد خداً لخدٍ ** قد برانا الجوي وثغراً لثغرِ(١)

وقد كنى((ببنت الكرام)) عن مصر .

وننظر إلى بعض غزليات العباسي فنجد فيها روح العشق الصوفي مع اختلاف في الأسباب فشعراء الصوفية يتحدثون عن الحبيب الهاجر ويمعنون في التدله والوجد ، في ذلك لا يعبرون عن تجربة حب رجل لأمراةِ ملكت زمام قلبه وإنما يرمزون يمثل هذه

---

(1) الشاعر السوداني محمد سعيد العباسي – د . أحمد عبد الله سامي
(2) ديوان العباسي دار البلد – (١٩٩٩م) – ص (٢٦٣) .
(1) ديوان العباسي – دار البلد – (١٩٩٩م) ص (٤٩)

التجارب عن بعض ما يتصل بتأملاتهم وجذبهم ، وهم بذلك قد اكسبوا معني الحب الإنساني معان جديده غير التي يعرفها العامة من الناس وجعلوه خالصاً للذات الإلهية ، أما العباسي فقد كان شأنه غير ذلك وقد بينا ذلك في حديثنا عن بادية الكبابيش وقد كانت الحياة الاجتماعية المحافظة التي عاشها جيل العباسي بشكل عام والعباسي بشكل خاص لانهم كانوا من أبناء البيوت الدينية الكبيرة تقودهم مجبرين – في كثير من الأحيان – الي معاناة شديدة من الحرمان ، فيفرغ كل هذا الوجد والحنين في هذه الصور التي تشابه الغزل الصوفي الذي يفيض بالتدله والوجد:

يا مخبري بحديث اهل البان ** ومروّحي بالجزع من نُعمانِ

اعد الحديث فدتك نفسُ مُولعٍ ** يبكى الطلول بمدمعٍ هتان

بالله هل وادى العقيق وماؤه ** العذب الزلال وضاله المتداني

كالعهد زاهٍ زاهرٍ أم غيرت ** منه السنون وطارق الحدثان

يا بالي الأطلال قل لي هل درى ** أهلوك ان الشوق قد أبلاني

اني حملت من الصبابة والاسي ** ما ليس يحمل مثله الثقلان

لو كنت شاهدنا عشية ودعوا ** وحدا الظعائن سائق الاظعان

ورايتنى امشى وراء حمولهم ** ورأيت سكب الدمع من اجفانى

لعلمت ان لواء أرباب الهوى ** بيدي وإني لا أُقاسُ بثان[2]

لاتجد في هذا الغزل الذي يفيض بالحنين والوجد ما يماثل تدله الشاعر الصوفي إبراهيم التليب ووجده وقد عرف عنه الزهد في الحياة الدينا والاعتكاف للعبادة فهو يقول [3] :

مر النسيم بارضهم فتعطرا ** او ماتراه سرى يبث العنبرا

مهلاً نسيم الريح قد انشقتنا ** من عَرْفك الفيّاح مسكاً اذفرا

حدّث عن الوادي وطيب ربوعه ** الا تزل مخضل الجوانبِ اخضرا

واعد حديثك عن معاهد بانه ** فحديثه يحلو لدى مكررا

عن ساكنيه فديتهم هل عندهم ** علم باجفان بهم جفت الكرى

ام حملوك رسالة لمتيم ** من حبهم شرب المدام المسكرا

أم ساءلوك عن الشجيِّ وحاله ** ياما تحنظل بعدهم وتمررا

يا قاتل الله البعاد فانه ** يوهي الضليع ويفضح المتسترا

---

(2) المرجع السابق – ص (١٩٣) .

(3) المرجع السابق – ص (١٠٠).

سلـــبت عوامـــله ذخـــائر مهجتـــى ** فلــذاك دمعـــي إثـــرها يامـــا جـــرى

وقد تحدث شعراء المتصوفة في مثل هذا العشق الصوفي عن (هند وسلمى) ولم تكن هنالك هنداً ولم تكن سلمى إنما هما من الرموز ، وقد ذهب شاعرنا مذهب المتصوفة نفسه في استعارة هذه الرموز ولكنه يختلف عنهم بأنه يقصد محبوبة بعينها شقف بها حبا ولم يكن بإمكانه لطبيعة الوضع الاجتماعي التصريح باسمها ومن ذلك قولة :

الا هـل اتـى هنـدا ولازال بالحـمى ** ملث من الرضوان يهمي علي هند
بـاني حططـت الرحل فـي خير بلـدة ** عرفت بها رهط السماحة والمجد[١]

وقوله :

قفوا فـي رُبـا كانـت تحلُ بهـا سلـمى ** فـإني ارى هجـران تلـك الربـا ظـلما
أســائل رســم الــدار ايــن ترحــلوا ** وهل أفصحت يوماً لسائلها العجما[٢]

كـذلك تـأثر العباسـي مـن جانـب آخـر بـبعض صـيغ التعبيـر والمصـطلحات المتداولـة بين الصوفية فهو عندما قرّظ كتاب النفحات الإلهيـة السمانية وهو كتـاب فـي آداب الطريقة السمانية وأورادها وفيه آداب للمريد السالك وكيفية الذكر كان تقريظه ينم عن إعجاب المتصوف أكثر من تقريظ الأديب يقول عن الأستاذ السمان رضـي الله عنـه وهو مؤلف الكتـاب انـه (العـارف القطـب) ، (رحـى الأسـرار) (بحـر السـر) (عـم سنا إرشاده الشرق والغربا) ،(نـور المعـارف) ، (طبيب القلوب) وهو يسأله أن (يمده بسره) (ويكشف عن بصيرته لأنـه (قطب الورى)) ويدعو لـه بالتحية من (روح الله) وكل ذلك في قصيدته (نفحات السمانية) [٣]وكذلك قصيدته في رثاء والده والتي مر بنا ذكرها فيها الكثير من تلك المصطلحات .

كذلك من الجوانب التي تأثر فيها العباسي بالشعر الصوفي اختتام كثيرٍ مـن قصـائده بالابتهـال والسؤال والتضـرع إلـى الله طالبـا المغفرة داعيـاً لقومـه بالرشـد والهدايـة وفـي مثـل هـذه الأبيـات تحـس حرارة الوجـد الصـوفي الذي يأمـل الوصـول إلـى

---

[1] ديوان العباسي – دار البلد – الخرطوم (١٩٩٩م) – ص (١٠٧).
[2]المرجع السابق – ص (١٥٥) .
[3] المرجع السابق – ص (٢٥٨) .

السلوك المثالي ولكن يعجزه قدرة البشر على تحقيق ما يصبو إليه فيقول في ختام قصيده عبر الأيام :

من لي إذا ما ضمني في حفرتي ** أهلي وصرت بقعر دارٍ بلقع
وسلاني الخل الوفي وسلوته ** وهجرت مصطافي هناك ومربعي
يا رب أنت حمايتي فتولني ** يا رب أنت من النوائب مفزعي
جد لى وزيّن ظاهري بعوارف ** وبباطني نور المعارف أودع
أنا عبد سوء أوثقته ذنوبه ** انا لائذ بحمى الرحاب الأوسع
إن لم تكن لي من ذنوب أثقلت ** ظهري فما أقوى واقفر مرتع[1]

كما أن إعجاب شاعرنا بأجداده عارفا بفضلهم وعلمهم مقدرا دورهم متوسلا بهم ساعياً إلى ترسم خطاهم يقارب في كثير من الأحيان توسل بعض المريدين من المتصوفة بشيوخهم وأقطابهم.

أولئك سادات المفاخر ذادة الحمى ** وربيع الناس في ألسنة الشهبا
أبوهم رفيق المصطفي وصديقه ** وأول من في الله داعي الهدي لبا
هم ملجأئي في النائبات وعدتي ** وكنزي إن أوليت من زمني خطبا
وهم نخبة الأيام والدهر كله ** والَ السماح الغض في العرب العربا
فيا حُجّة الإسلام نظرة مشفق ** إلي عسي القي الأمن في العقبى
ومالي غير الحب فيك وسيلةً ** وفي جدك الصديق من فضل الصحبا
فصلني بما أملت فيك ومدّني ** بسرك واكشف عن بصيرتي الحجبا[2]

وبعد هذا السرد فإنا نعتقد أن العباسي لم يكن شاعراً صوفياً فحسب ، ولكنه بحكم البيئة الصوفية التي عاش فيها تحت كنف الطريقة السمانية التي كان لها نفوذٌ روحيٌ كبيرٌ علي كثير من أهل السودان مما جعل لزعمائها مكانة خاصة عند أهل السودان منذ التاريخ القديم فاصبحوا يدينون لهذه الطريقة بالولاء والاحترام وكان شاعرنا العباسي يحافظ علي ذلك التراث ويعتز به مما حدا به لإظهار المسحة الصوفية في شعره .

---

(1) ديوان العباسي – دار البلد – الخرطوم (١٩٩٩م) – ص (٢٥٦).

(2) المرجع السابق – ص (٢٦١) .

الفصل الثالث

بين البادية العربية والسودانية

المبحث الأول

سمات التشابه

هل شاعرنا العباسي مقلداً لأساليب الأقدمين أم مجدداً لها ؟

هذا السؤال أو الإجابة عليه هي ما حدت بي إلى كتابة هذا الفصل من البحث ، فقد ذهب أكثر الباحثين إلى أن العباسي قد قلّد أساليب الأقدمين لكنني أختلف معهم في ذلك فعملت على دحض هذه الدعوى إنطلاقاً من المقارنة بين السِّمات البدوية التي ظهرت في شعره ومدى وجود هذه السمات في البادية العربية فكان على أولاً الإطلاع على بعض الكتابات التي مؤداها البحث عن الذات السودانية من خلال رد أصول الشعر السوداني إلى العربية الصرفة أو الزنجية الخالصة أو مدى إنتمائه في مضمونه إلى الشعر العربي في مفهومه العالمي أو تمازجه مع الأفريقية المحضة وبالتالي معرفة سمات التشابه والاختلاف بين البادية السودانية والعربية .

في سمات التشابه تناول الدكتور محمد النويهي في كتابه الإتجاهات الشعرية في السودان الطبعة الأولى سنة ١٩٥٧ م قصيدة البطانة لشاعرنا الكبير عبد الله محمد عمر البنا التي يقول في مطلعها :

رعى الرحمن أهلك ما أقاموا ** وما رحلوا وحياك الغمام

حَكَمَ على شاعرنا بالمقلّد وعلى قصيدته بالتقليدية التي إنتهجت نهج القصيدة القديمة في الشكل والمضمون والخيال و الأسلوب ولم يدرِ بأن شاعرها بدوي قُح ترعرع بالبادية السودانية التي تشابه البادية العربية إلى حد كبير إلا عندما قدم إلى السودان وتنقل في بواديه فقال :

(درست الأدب العربي القديم في مصر ، وكنت أعتقد أنني أفهمه ولم أدر كم كان ذلك نظرياً الا حين رحلت إلى السودان وعشت فيه وتجولت في تلك البيئة العربية القريبة الشبه لما وصفه الشعراء القدامي ورأيت للمرة الأولى في حياتي كثيراً من النباتات والحيوانات والمناظر الطبيعية التي سجلوها في شعرهم)[١] .

---

[1] حاشية كتاب الإتجاهات الشعرية في السودان د. محمد النويهي ص (٦) .

ويقول بروفيسور عون الشريف قاسم [2] في محاولة إيجاد الشبه بين لغة البدو في السودان وشبه الجزيرة العربية :- ((واللغة الحية – شأن كل الأحياء – تتكييف بظروف البيئة وتتلون بتلون عناصرها وكان هذا دأب اللغة العربية في السودان فهي في تنوعها وإختلاف لهجاتها ومفرداتها وتراكيبها صورةً حية لوضع السودان الجغرافي والبشري وهي صورة للصحراء على السنة الرعاة البادين من الأعراب الذين يجوبون القفار بحثاً عن الكلا والماء فتراها حينئذٍ حافلةً بكل ما يتعلق بحياة البادية من مصطلح يكاد يطابق ما عهده العرب في جاهليتهم في حديثهم عن الإبل والنبات والأنواء والأمطار والرعود والبروق وما يتصل بكل ذلك من مشاكل الحلّ والترحال ، وكلما قلّ إختلاط هولاء البُداه بغيرهم من سكان البلاد الأصليين كانت لغتهم أقرب إلى اللغة الجاهلية في مدلولها ومحتواها وهي صورة للبيئات الزراعية المستتقرة أو المترحلة فنراها تكتظ في السنة المتحضرين على ضفاف النيل بمصطلحات كثيرة تتعلق بأمور السقى وأدوات الزراعة وأحوال النيل وما إلى ذلك مما لا عهد للعرب به ونرى فيها شاهداً قوياً على طبيعة البيئة في غرب السودان وهي تنطلق من السنة البقارة أو الكبابيش أو سواهم من القبائل في غرب البلاد .

ثم هي فوق هذا وذاك صورة حية للتماذج البشري العظيم الذي أكسب السكان الأصليين واختلطت دماؤهم بدمائهم وإمتزجت لغتهم بعناصر مختلفة من لغات هؤلاء السكان واختلطت بها إختلاطاً نرى سماته الواضحة في المفردات والتراكيب والنطق .

من كل ذلك يتضح أن اللغة العربية في السودان واسعة سعة هذا السودان ينطبع على صفحاتها كل هذا الإختلاف مما يشهد به العدد الضخم من لهجات القبائل في شرق البلاد وغربها شمالها وجنوبها ووسطها والأمر في ذلك شبيه لما كان عليه حال اللغة العربية في جزيرة العرب قبيل الإسلام وبعده بقليل فهناك هيكل لغوي عام يشترك فيه الجميع ثم من بعد ذلك يحدث التمايز والإختلاف بإختلاف المؤثرات والبيئات وكما هو حال العربية في كل أقطار العروبة نراها فى السودان تمتاز بسمات خاصه قد تشاركها في بعضها اللهجات العربيه فى اقطارها المختلفه)) ..

---

(2) قاموس اللهجة العامية في السودان د. عون الشريف قاسم ص ١٤ – ١٥ .

وبعض هذه السمات على سبيل المثال لا الحصر :-

ابدال الحروف :-

الهمزه الى عين مثل : يسأل – سعل ، فقأ – فقع

وابدال الهمزه عينا لغة تميم والعرب تقول اربون وعربون واتفقا واتفقع ويقولون فى السودان اتبره وعطبره .

الباء الى ميم :-

إنزقب – انزقم ، حبِلت المراه – حملت ، ابن عمى لزب – لزم .

وشواهد ذلك كثيره فى كتاب قاموس اللهجه العاميه فى السودان

ويجدر بنا الحديث عن احتفاظ النموذج الشعبي ، باغراض القصيدة العربية القديمة دونما تكلف مما يدل على تشابه الأغراض في الأدب بين البادية والسودان والعربية ويمكن الوقوف على ذلك من خلال مقارنة قصيدتية الأولى من الأدب الشعبي السوداني والثانية من الشعر العربى القديم .

الاولى (مناحه) اى مايعادل ادب الرثاء عند العرب قالتها الشاعرة بنونة [١]فى رثاء أخيها ، والأخرى قالتها الخنساء [٢] فى رثاء صخر حيث تتفق القصدتان فى التقسيم الفنى وتنقسمان الى اسلوب عاطفي وأسلوب تقريري .

فالأسلوب العاطفي تمثله العبارات البكائية وإظهار اللّوعة والحرقة والشوق ومن مقومات هذا الاسلوب التكرار حيث تكرر الخنساء عبارة (تبكى هي) وتكرر شاعرتنا (أحي عليه) والتى هى بنفس المعنى ثم اطلاق الكنايات لابراز حراره التعبير ونقل المشاعر بدقه تقول الخنساء (علم فى راسه نار).

---

[1] بنونة اسم شاعرة سودانية وهي بنت الملك نمر واشتهرت بنونة الجعلية بشعرها (قاموس اللهجة العامية في السودان) د. عون الشريف قاسم – المكتب المصري الحديث – الطبعة الثانية – ١٩٨٥ م – ص (١٣٢) .

[2]الخنساء : تماضر بنت عمر بن الحارث بن الشريد من المخضرمين الذين شهدوا الجاهلية ثم أدركت الإسلام فأسلمت فحسن اسلامها ، وهي معروفة بمراثيها لأخويها صخر ومعاوية وهي القائلة :

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

طبقات فحول الشعراء – لابن سلام – السفر الأول – قرأه وشرحه محمود محمد شاكر – ص (٢١٠) .

وتقـول شـاعرتنا (عـريس خـيلاً) بـل ان الشـاعرتين تتفقـان فـي إطـلاق الأوصاف حتى ليتوهم القارئ ان الشاعرة الشعبية قد نظرت فى شعر الخنساء .

فالخنسـاء تشبه مشيه (صـخر) الـى المـوت بمشـيه (السـبنتى) والشـاعره الشعبية تقول فى نفس المعنى (اسد جيشا مكرمش قمزاته متطابقات) وهى نفس صوره الاصرار والتوثب فى مشية الاسد والسبنتى كما ان الشاعرتين اتفقتا فى تشبيه الموت بحياض يردها المرء اذ تقول الخنساء :

((وراد مـاء)) قد تناذره ** اهل الموارد مافى ورده عار

وتقول الشاعره الشعبيه .

((ان وردن ، يجيك فى اول الواردات)) .

فـإن خلصـنا الـى القسم الثـانى مـن اسـاليب فـن الرثـاء الشـعري (المناحـة) وهوالجانـب التقريرى تجد مـن مميزاتـه الإهتمـام دائمـا بتعداد مـآثر الميت علـى نفس المقـايس العربيـه ورسـم صـورة متكاملـه للفتـى المثـالى فـى بيئتـه واسـتيفائه لشـتى ضرورات الحياة وأخلاقياتها المتمثلة في الكرم والشجاعة والمروءة .... الخ .

ومن مميزات هذا الاسلوب استعمال ادوات النفى كقول الخنساء

لايمنع القوم ان سالوه سترته ** ولايجـاوزه بالليل مرّارُ

وتقول شاعرتنا الشعبية :

ما هو الفافنوس [1] .

ما هو القليد البوص [2] .

ثـم إن مـن مميـزات هـذا الاسـلوب اسـتعمال احـرف النـداء تقـول الخنسـاء (ياصخر) وقول الشاعرة الشعبية :

يابقة عقود السم .

يا مقنع بنات جعل العزاز من جم [3]

---

(1) ما تستعمل في العامية السودانية بدلاً عن لا الناهية . الفافنوس : نبات عفن ضئيل .

(2) القليد : الغليظ لاحظ تبادل حرفي الدال والظاء . البوص : على عكس الفافنوس .

– معنى البيت : يا جرعة السلم الذي ينعقد في الحلق لمرارته ويا ستر عرض بنات الجعليين (جعل هنا مرخماً)

كما ان من مميزات هذا الاسلوب استعمال صيغ المبالغه لقول الخنساء :

حمّال الويه هبّاط اوديه ** شهّاد انديه للجيش جرار

وقول الأخرى على نفس الصيغه من وزن فعّال :

فـرتّاق حـافلن مـلاّى سروجن دم** [٤]

كما نلاحظ عدم استعمال الشاعرتين لاحرف العطف حتى لا تعيقا التدفق الشعرى وكي لا تقف هذه الحروف سداً يمنع تدفق العاطفه العارم سيلاً من الدموع [٥].

والمتتبع لدلالات ومعاني الأمثال السودانية والحديث عن الأساطير والخرافات يجد أكبر دليل على تشابه التجربة الإنسانية المستمده من حياة مشابهه انتجت اخيله مشابهة [٦].

كذلك تبرز بعض العادات السودانيه التى ردها بعضهم الى اصُول عربية نجد انها قد بقيت عند أهل السودان وذلك لأصالتهم وايغالهم فى العروبة والتمسك بعادات العرب القدماء منذ الجاهلية منها عادة دخان الطلح خاصة عند المغتربات .

فالدخان فى التراث العربى نوعان ، البخور . المعروف وتطيب به الاجسام والثياب والبيوت ، والدخان الذى تصطلى به المرأة العربية بغرض الاستدفاء والزينة وكلا النوعين عندنا ولنساء السودان بهما عناية فاقت عناية نساء العرب الاوليات [١] لذلك يقول الشاعر العربى :

وما عميرة من ثدياء حالبه ** كالعاج صفرها الاكتان والطيب

فهو يصف إمرأة بيضاء كالعاج تعلو بياض لونها صفره من اثر الدخان والطيب لان الكتن فى كلام العرب هو لطخ الدخان بالجسم او الحائط والكتن سواد

---

[3] أي كافة .

[4] فرتاق : مشتت شمل الخيول . حافلن : زينتهن . ملاي سوجن دم : مالي سروجهن دماً

[5] راجع مقال الباحث بين بنونة بت المك نمر والخنساء – الخرطوم ديسمبر ١٩٦٧ م .

[6] العربية في السودان المقدمة ص ٥ لعبد الله عبد الرحمن .

[1] عادات سوادنية أصولها عربية من وحي اللغة وطرائف التراث ونوادره د . ابراهيم القرشي عثمان .

الشفاه ايضا تقول العرب (كتنت جحافل الدابة) : إذا أكلت العشب ولصق بها اثر الخضره والجحفلة من الحيوان كالشفه فى الانسان .

وقول آخر :

امـن زينـب تـنى الـنار ** قبـيل الصـبح مـاتخبو
اذا ماخـمدت يلـقى ** علـيها المـندل الرطـب

ويقول الاخطل [٢] :

لايسطلين دخان النار شاتية ** الابعود يلندوج على فحم [٣]

وقال ابن هرمة :

لكن ابيت وريح المسك تفعمني ** وعنبر الهند مشبوب على النار

ويقول بروفسر عبدالله الطيب : (وحفرة الدخان من اهم أداة الزينة السودان تكون فى كل بيت وتوضع اخشاب الطلح وتقعد المرأة فوق نطع بعد ان تكون قد ادهنت وتغطي نفسها بشمله ثقليه من الشعر لايبدو الا رأسها وقد حازت(جمعت) خصله الى اعلى وهوحمام ساخن شريف) ويقول شاعرنا محمد المهدى المجذوب عن هذه العاده واصفا الحفرة:

وحفـرة بدخـان الطلـح فـاغمة ** تنـدى الـروادف تلونيـا وتعطيـرا
لمحـت فيـه ومـا امعـنت عـارية ** تخفـى وتظهـر مثـل النـجم مـذعورا
مـدت بنانـا بـه الحـناء يانـعة تـرد ثوبـا الـى النهـدين محسـورا
قـد لّفهـا العطـر لـف الغـيم منتشـراً بـدر الـدجى وروى مـن نورهـا نـورا
يزيـد صـفرتها لمعـا وجدتـها صـقلا وناهـدها المشـدود تدويـرا

ثم اتخذت الكراسى مكان النطع واتخذت إناءً من حديد (جردل – سطل برميل صغير) مكان الحفرة . وآخر اكتشاف خطير هو ((الرحاله)) ومن الطرائف ان سودانيه فى احدى المدن العربية فى مجمع سكنى قد اشعلت الطلح وادهنت واستقرت وجلست فوقه واسترخت فملأ الدخان الافق وسد المناور ، والممرات فما احست وهى

---

(2) غياث بن غوث بن الصلط بن الطارقة الغلبي يكنى أبا مالك لقب بالأخطل لمعارضته أهله وبنى قومه في أمور رأو أن كلامه فيها مضطرب خاطئ خرج به عن العرف توفي في آواخر خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٩٢هـ كانت أمه نصرانية تدعى ليلى

(3) الأخطل في سيرته ونفسيته وشعره بقلم إيليا الحاوي – دار الثقافة – بيروت – ص (٤٥٠)

في غمرة ذلك الدخان الخانق الا ورجال المطافى يطرقون الباب ويرنون الجرس فلملمت نفسها وتدثرت بثوبها ونظرت من العين السحرية وكان من حسن حظها دخول زوجها فى نفس اللحظه فشرح لهم الأمر وشكرهم.

أما المغتربات من نسائنا فكلفهن بهذه العاده عظيم وهو دليل اصاله ومؤشرٍعالٍ لرعاية حقوق الزوجيه على الرغم من عدم ايجادهن مجالا للحفرة في بيئات لا تعرف هذه العادة في شقق متراكبة ليست فيها أرض تحفر .

ومن المعروف أن عاداتنا وتقاليدنا السودانية تنم عن أصالتنا وروحنا السمحة وأننا موغلون في العروبة لإندثار بعض هذه العادات عند أهلها الذين ابتدعوها كمايدل على أن أهل السودان متمسكون بتراثهم الزاخر بكل ما تعنيه هذه الكلمة مما حدا ببعض زوّار بلادنا الحبيبة بالكتابة عنها والتعليق على سلوك أهلها الأخيار وإن إختلفت هذه العادات باختلاف الأجناس والأعراق التي حواها وطننا الشاسع .

المبحث الثاني

سمات الإختلاف

اما سمات الاختلاف بين الباديه السودانيه والعربيه فيوردها الذين عملوا على البحث عن الذات السودانيه إبتداءً من زنجيته وإيغاله فى افريقيا فيُصبغون على البادية السودانية سِمات الحرارة الشديدة والشمس المحرقه والمناخ المداري والاستوائي في محاولة لايجاد شعر سودانى يحمل هذا الطابع الذى يميزه عن الادب العربى استناداً على كلام ابن خلدون فى مقدمته عن هواء الاقليم ((ان المكان الذى نحن بصدده والذى يقع السودان داخله انه فى الجزء الغربى المنحرف وانه يختص بالانحراف في كل اوجه الحياه ، الوان البشر واحوالهم ، والعلوم والصنائع والمبانى والملابس والاقوات والفواكه والحيونات وذكر ان السكان يبنون بالطين والقصب وان أقواتهم من الذرة والعشب وأن ملابسهم من الجلود واوراق الشجر ثم اشار الى تاثير الاقليم الحار فى امزجتهم واصل تكوينهم وان فى ارواحهم من الحراره على نسبة ابدانهم بينما نسب سكان الجزيرة العربية إلى الأقاليم المعتدلة ووصفهم بانهم خير أمة أخرجت للناس)) [١]ولذا يقول شاعرنا صلاح احمد ابراهيم [٢] .

انــا مــن افريقـــا صحــرئها الكبــرى وخــط الإســتواء

شحنــــــــــتى بالحــــــــــرارات الشمــــــــوس

وشـــــوتني كالقــــرابين عــــلى نــــار المجـــوس

لفحتـــــــنى فأنــــا منهــــا كــــعود الأبنـــــوس

وانــــا منجــــم كبــــريت شـــــديد الاشتــــعال

يتلـــــظى كلــــما اشــــتم عـــــلى البــــعد تعــــال

انــــا مــــن افريقيـــا جوعـــان كالطفـــل الصـــغير

وانـا أهفو إلـى تفـاحه حمراء من يقربهـا يصبح مـذنب

---

[1]مقدمة بن خلدون (ص ٧٦) .

[2] ديوان غابة الأبنوس – الشاعر صلاح أحمد إبراهيم – الطبعة الأولى

نجد فى أبيات صلاح احمد ابراهيم هذه ربطاً بين الوجود الانسانى فى افريقيا وما يتبع ذلك من اختلاف اللون والمِزاج والذوق وكانه استحضر في اللاوعي نظره (ابن خلدون) ومن الناحية الأخرى يسجّل شعر (الفيتوري) إختلافا تفصيلياً للإقليم الافريقى وتفرده عن غيره فنجده يشكل صورهِ ويتخذ ادواته من عنصر المكان عندما يقول :

لما أنغرس الخنجر كانت سيدتي الشمس تموج عينها فوق الغابات

وتغنـــــــى لحقـــــــول الكاكــــــاو الممتــــــــده والشــــــــلالات

وقـــــــوارب صيـــــادين مساكيــــــــن حزانــــــى الضحـــــكات

ونســـــــاء علقهـــــن الـــــــه الجـــــوع علــــى طــــول الطرقـــات

كما يحاول بعضهم إثبات إختلاف البيئتين بالرجوع الى التاريخ والتأمل لسمات الملوك والعلامات التى وجدت على الرسوم والنقوش التى وجدت على الاثار الواقعة بين مروى ووادى حلفا فى اشكال الملوك المنحوته للزنوج فهم فطس الانوف عريضو الجبهه فارهو الطول الى جانب ضخامة العظام واستدارة العيون والفلفله الواضحه فى شعورهم وهى الصفات المميزه للزنجي الاصيل ومطابقتها بالسمات المرسومه على النقوش التى وجدت على الاثار المصرية الواقعة على النيل بين وادى حلفا وجنوبى القاهره وخاصه فى آثارابى سمبل واسوان والاقصر ، ان اجسامهم دقيقة وانوافهم حاده وجباهم وأعينهم غير مستديره وشعورهم سلسه ويحاولون من خلال ذلك اثبات الفروق بين هاتين الأمتين التين عاشتا جنباً إلى جنب فى وقت واحد وان اختلفت السمات بعض الشى .

كما ان روّاد الفن و المهتمين به يحاولون ايجاد الفروق من خلال مقارنه الاغانى والموسيقى السودانية مع بقية الاقطار العربية يقولون ان الذين يتذوقون الموسيقى السودانية بصفه خاصة يجدون فرقاً كبيرا فى السلم الموسقى فمعظم السودانين لايروق لهم سماع اشهر الغناء العربى لعدم توافقه مع مزاجهم وبالمثل بعض سكان العالم العربى لا يتسيقون الغناء السودانى ولا موسيقاه

وقد لايفهمون مايقال خلالها ولعل مرد ذلك الى المزاج العام الذى تنتمي اليه كل فئه)) [١].

وخلاصة القول ان الباديه فى السودان هى بادية أشبه بالبادية العربية القديمة برغم توغل القطر السوداني في أفريقيا وذلك لتأثير الإسلام على السودان عن طريق الفتح وهجرات القبائل العربية إلى السودان .

---

[1](الشعر والمجتمع في السودان – عبد الحميد محمد أحمد (ص ٧) .

الفصل الرابع

سمات شعر العباسي

المبحث الأول

الجزالة

إن المتأمل لمدلول لفظ الجزالة يجد أن الجزِل الحطب اليابس أو الغليظ العظيم منه والكثير من الشيء ومن الكلام الفصيح القوى الجامع ويقال جَزْل وجزلة وجزْلاً خلاف الركيك من الألفاظ وفي الشعر هي مشابهة الكلام للأسلوب البدوي في التراكيب والالفاظ [١] والصياغة ، ولا بد لنا من أن نحدد المراد بعبارة (الإسلوب البدوي) .

فالاسلوب البدوي يشترك مع الاسلوب الحضري في حسن الديباجة وتماسك المعني والوضوح ، ولكن توجد سمات فارقة تميزه عن الإسلوب الحضري وذلك مرده إلى طبيعة الحياة في البادية التي تتطلب من المتحدث ان يكون جهير الصوت في حديثه مع جماعة من المسافرين لاتساع البادية ، وبعد المسافات في السير فلربما أراد شخصً التحدث إلى آخر بعيداً جداً منه ، ولابد للشاعر البدوي في الأسلوب من استعمال الألفاظ القوية الجرس الشديدة الرنين ، حتى يتسنى لجماعة الرفاق أن يعوا ما ينشده الشاعر نظراً لصعوبة الاستماع من جراء حركة الابل و الدواب الأخرى التي تجوس في البادية كذلك لا بد للشاعر من الترنم إذا كان في ركب – حتى يحدو الركائب ويستنهض عزيمة المسافرين لمواصلة السير وذلك يحتم عليه استعمال الألفاظ المؤثرة في النغم ، ولا يتأتى له هذا إلا في الألفاظ التي تساعده على مد الصوت في الترنم والانشاد .

و لما كانت الرهبة تسود البادية ويملؤها صفير الرياح وجلجلة الرعد وأصوات الهوام والحشرات علاوة على أصوات المسافرين وركائبهم كان لا بد للمتحدث أن يعمد الى استعمال الكلمات الضخمة التي تتيح للسامع أن يتبين الكلام بوضوح ، ولعل الذي يتنقل في بوادي السودان يقف على صِحة هذا الحديث ، فالمسافرون في البادية يتحدثون بأصوات جهيرة حتى إذا كانوا قريبين من بعضهم وذلك لشدة حركة الحيوانات التي يركبونها أو التي يسوقونها أمامهم وكثيراً ما يُسمع المسافر في البادية يترنم (بالدوبيت) [٢]في صوت عال جهير ليحث مطيّه وأصحابه على السير الجاد ليلاً كان أم نهاراً .

---

[1] القاموس المحيط – فصل الجيم باب اللام – لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي – ص (٣٥٩) .

[2] الدوبيت كلمة مركبة من كلمتين : معنى الأولى منها إثنان وثانيها بمعناها العربي فلا يقال منه إلا بيتان بيتان في أي معنىً يريده الناظم ولا يجوز فيه اللحن مطلقاً (ميذان الذهب – في صناعة شعر العرب – السيد أحمد الهاشمي – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م – ليست به إشارة لدار نشر – أو طبعة) .

كما أن الحياة في البادية تتطلب الرزانة والخطى الوئيدة والتثنية في الخطاب للأسباب التالية : -

أولاً : الحياة في البادية تتطلب حياة رتيبة لا تستلزم السرعة وعامل الزمن فيها عنصر ثانوي لأنه لا يوجد مبرر للعجلة في مثل تالك الحياة التي لا تتغير ولا تتجدد الا نادراً ، ويمكن لاهلها أن ينجزوا أعمالهم في رزانة وثقل ، لذا فقد اكتسبت طبيعتهم الأناة والرزانة ، فالشاعر البدوي هادي في تفكيره ، بطيء في حركته يعمد إلى الأوزان الطويلة مثل البسيط ، و الطويل والمديد والخفيف وغيرها مما يساعد في الترنم بجهاره ونفس طويل وكذلك فالشاعر البدوي يتأنق في اختيار الفاظه لتناسب معانيه من دون تعمد أو تكلف لأن طبيعته الهادئه الرزينة تفعل ذلك تلقائياً .

ثانياً : الحياة البدوية أيضاً تستلزم الحذر الشديد نسبة لوعورة الطبيعة فيها نجدد فيها الوحوش الضارية والأفاعي والعقارب السامة ، واللصوص وقطاع الطرق ، ولا بد من حذر ومقاومة لهذه المعوقات فاتسمت حياة البدوي بالحذر واليقظة ولعل ما نحس به من أناة الشاعر البدوي وتحفظه وتمهله في القول اثر من صفات البداوة للحذر واليقظة .

ثالثاً : ونظراً لما أسلفنا من معوقات الطبيعة البدوية كان لا بد للبدوى ان يسافر فى ركب وكان من عادته إذا خاطب ان يخاطب الاثنين ولذا اتصف الشاعر البدوى بهذه الصفه ونجد هذه العاده كثيرة فى الشعراء البدويين فى الجاهلية والإسلام ، نجد عادة التثنية فى الشعر عند أمرئ القيس [١] وغيره من شعراء الجاهلية يقول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى جنب ومنزل* بسقط اللَّوى بين الدخول فحومل**[٢]

يقول المرقش الأكبر في مطلع قصيدته:

ياصاحبى تلوما لا تعجلا * ان الرحيل رهين الا تعذلا** [٣]

---

(1) أمروؤ القيس : هو أمرؤ القيس بن حجر الكندي الملك الضليل بن عمر المقصور سمي كذلك لأنه اقتصر على ملك أبيه كان أبوه سيد بني أسد وغطفان فثاروا عليه وقتلوه ولم يتمكن أمرؤ القيس من الأخذ بثأره فخرج إلى ملوك اليمن طالباً العون والنصرة فلم يجد ذلك فهام في الأرض لا يقصد وجهة مهعينة إلا اللهو والمتعة فلقب بالملك الضليل .

(2) ذخائر العرب – شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري تحقيق عبد السلام محمد هالون دار المعارف – الطبعة الرابعة (١٩٨٠) ص (٣) .

كذلك نجد عاده التثنية عن الشعراء البدوين المخضرمين والاسلامين مثل الفرزدق وغيره

يقول الفرزدق فى[٤] قصيده :

اقــول لصــاحبيَّ مــن التعــزى * وقــد نكــبن أكثبــه العقــار**

أعينــاني علــى زفــرات قلــبٍ * يحــن برامــتين الــى النّــوار[٥]**

هذا و لا نستطيع القول عن كل شعر فصيح مطابق لقواعد اللّغه انه جزل حتى لو كان القائل شاعراً واحداً فبشّار حينما قال :

ربــــابة ربــــة البيــــت * تصــــبُ الخــــلَّ فــــى الزيــــت**

لهــــا عشــــرة دجــــاجاتٍ * وديــــك حســــن الصــــوتِ**

لم يكن جزلاً فى اسلوبه ولكنه كان كذلك عندما قال :

وجيش كجنح الليل يزحف بالحصى * وبالشــوك والخطــى حــمر ثعالبــه**

غدونا لـه والشمس فى خدر امـها * تطالعنــا والطــل لــم يجـر ذائبــه**

كـأن مثّـار النقـع فــوق رؤسـنا * واســيافنا ليــل تهــاوى كواكبــه**

بعثنـا لهـم مــوت الفجـاءة إنــنا * بنـو المـوت خفـاق علينـا سباسـبه**

اذا الملــك الجبــار صــعّر خــده * مشيــنا اليــه بالسـيوف نعاتبــه[١]**

والفرق واضح بين قول بشار غير الجزل وقوله من حيث مطابقه سمات الإسلوب البدوى فى قوله الذى خاطب به ربابه والذى وصف به الجيش لان الفاظه ومعانيه فى البيتين اللذين خاطب بهما ربابة لم يعمد فيهما للتأني فى اختيار الكلمات وموسيقاه فيها سريعة متقطعة والمعنى سوقى اما فى الابيات التى وصف فيها الجيش نجد الموسقى فيها بطيئه ممايدل على التمهل ولاتجد لفظة نابية او معنىً حوشياً فيها وهذا من مستلزمات الأسلوب البدوي .

---

[3] انظر المفضليات الجزء الأول تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون (ص ٢٢٢) .

[4] الفرزدق : همام بن غالب يكنى أبي فراس ويلقب بالفرزدق ولد بالبصرة سنة ٢٠ هـ – ٦٤١ م وهو معروف بنقائضه مع جرير توفي سنة ١١٤ هـ ، ٧٣٣ م .

[5] ديوان الفرزدق شرحه وضبطه وقدم له الأستاذ على فاعور – دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى ١٩٨٧م ص (٣٠٤) .

[1] تاريخ الأدب العربي – جزء (٣) د . شوقي ضيف العصر العباسي الأول – ص (٢١١) .

وشعر العباسى يتصف بالجزاله اذا طبقنا عليه ذلك الاسلوب وفى هذا السياق يقول البروفسور عبد الله الطيب فى حفل تأبين شاعرنا محمد سعيد العباسى بالمكتبة المركزيه بامدرمان (الجزالة فى اسلوب العباسي عامه ولكنها بجوهرها الأصيل تظهر فى أبواب من شعره هى أشدُّ صلةً بما ذكرنا فى حسبه ونسبه وتصوفه ، جزالة العباسي وقوته ورصانته هى ابواب النسيب من شعره ، وأبواب الغزل التي يبدأ بها القصائد ، واسلوب الجزاله ليس يسيراً فمع الثقافة والانفعال يحتاج الى الملكة وهى هبه من الله ، ولو كان اسلوبا سهلا لامتلات به القصائد من لدن بشار الى عصرنا هذا . واكثر الشعراء الجزلين بعد المتنبى المعرى والبوصيرى . ثم لا نجد بعد هؤلاء إلا البارودي فى مطلع النهضة الحديثة فى مصر ومجيء العباسي فتح جديد لهذه البلاد يدْل على اصالتها وعروبتها) . ويستدل على ما ذهب إليه بقصيدة "النهود" التي حيّا فيها شاعرنا صديقه خلف الله خالد والتى عدّها البروفيسور عبد الله الطيب من امثلة الديباجة الرصينة والتي يقول فيها :

باتت تبالغ في عزلي وتفنيدي * وتقتضيني عهود الخرَّد الغيد**

وقد نضوت الصبا عنى فما أنا * فى إسار سعدى ولا الحاظها السود**

سئمت من شرعه الحب اثنتين هما * هجر الدلال وإخلاف المواعيد**

لا تعزليني فإني اليوم منصرفً * ياهذه لهوى المهريه القود**[1]

فهنا محاوله فيها رقه لمكافاه صدهنّ بصدِ مثْله وقد كره ابو السائب المخزومي التخشين في هذا الباب فى قول من قال :

وكنت إذا حبيب رام هجري * وجدت ورأي منفسحاً عريضا**

وكان العباسي رحمه الله ربما سافر السفر الطويل فى بادية غرب السودان وكان السفر إلى وقتٍ قريبٍ بالجمال وقوله المهريه أراد الإبل النجايب ومن أنجب الإبل البجاويه الصّهْب وربما كان للعباسى راحله منها :

لم يبق غير السُّرى مما تسرُ له * نفسي وغير بنات العيد من عيد**

وبنات العيد الإبل النجائب ينسب الى العيد فحْلُ مشهور واصل كلام العباسى رحمه الله بيت حبيب بن أوس :

---

(1) ديوان العباسي – دار البلد – الخرطوم (١٩٩٩م) ص (٩٨) .

حتى اغادر كل يوم بالفلا * للطير عيداً من بنات العيد**

ثم يقول العباسي :

المدنياتى من رهطى ومن نفرى * والمبعداتى عن أسري وتقيدي**

أثرتها وهى بالخرطوم فانتبذت * تكاد تغذف جلمودا بجلمود**

تؤم تلقاء من نهوى وكم قطعت * بنا بطاحاً وكم جابت لصيخود**

والعباسي هنا يقول ان ابله سارت على صخور من الخرطوم الى النهود وقطعت البطاح جادة في السير يخدعها لمع السراب ويعنيها الليل بالسفر الشاق .

نجد يرفعنا آل ويخفضنا * آل وتلفظنا بِيدٌ إلى بِيدِ**

وشدّ ما عانقت بالليل من عنق[٢] * يضني ومن حيف أخدودٍ فأخدودِ**

حتى تراءت لحادينا النهود * وقد جئنا على قدرٍ حتمٍ وموعود**

معالم قد أثارت في جوانحنا * شوق الغرير لمهضوم الحشا الرود**

فلما وصل إلى بغيته (النهود)[١] تجددت الذكريات القديمة في نفسه ، ثم كأنه قد استحيا من هذا الغزل السافر فقال [٢] :

استغفر الله لي شوق يجدده * ذكر الصبا والمغاني [٣]أيَّ تجديد**

وتلك فضلة كاسٍ ما زممت لها * طعماً على كِبَرٍ بُرح وتأويد**

ان ذرت حيّاً أطافت بي ولائده [٤] * يفدينني فعل مودُودٍ بمودِودِ[٥]**

وكم برزن إلى لقياي في مرح * وكم ثنين إلى نجواي من جيد**

لو استطعن وهنَّ السافحات دمي * رشفنني رشفُ معسولُ العناقيد**

يا دار لهوي على النأي أسلمي وعِمي * ويا لذاذة أيامي بهم عودي**

---

(2) العنق السير الشاق .

(1) والنهود بلد بغرب السودان كان منها (نهود – أي نهوض– القوافل وقاصدي الموارد والمراعي في حرِّ الصيف وهي في أقليم كردفان غرب مدينة الأبيض في طريق دارفور)

(2) ديوان العباسي – الدار السودانية – الطبعة الثالثة ١٩٦٥م ص(٨٩)

(4) الولائد : جمع وليدة وهي البنت .

(3) المغاني : المنازل التي كانت بها الإقامة .

(5) المودود : المحبوب .

وفي هذه الأبيات حرارة من عاطفة وجانب من رقةٍ كبعض مذهب الشريف الرضي وكليهما عاشا في بيت دين وورع وحفظا القران وبعض علومه فانظر إلى قول العباسي :

(لو أستطعن) وهن السافحات دمي ** رشفنني رشف معسول العناقيد

وقول الشريف الرضي :

عندي رسائل شوقٍ (لست أذكرها) ** (لولا الرقيب) لقذ بلغتها فاك

فكلاهما يبالغ في أخفاء احاسيسه وعواطفه أمتثالاً لما تمليه عليه البيئة الدينية التي نشأ فيها.

وعند ما أطّلعت على هذه الأبيات التي أثارت كوامنه خطرت إلى أبيات عمر بن أبي ربيعة وكان قد تاب في أواخر ايامه فلقيه من شكا إليه ما يعانيه من حب هند فأهاج فيه ذكرى شبابه فقال مخاطباً مربيته التي أنكرت عليه ما أحدثه بعد توبته من حنين لأيام لهوه وشبابه فرد عليها قائلاً :

تقول وليدتي لما رأتني * وكنت قد أقصرت حيناً**

أراك اليوم قد أحدثت شوقاً * وهاج لك الهوي داءً دفينا**

بربك هل أتاك لها رسولاً * فشاقك أم لقيت لها خدينا**

فقلت شكا إلىّ أخٌ مُحبٍ * كبعض زماننا أذ تعلمينا**

فقصّ علىّ ما يلقي بهندٍ * فذكّر بعض ما كنا نسينا**

وذو الشوق القديم وأن تعذّى * مشوَّق حين يلقى العاشقينا**

وكمْ من خِلةٍ أعرضت عنها * وكنت بها ضنينا**

أردت بعادها فصددت عنها * ولو جُنَّ الفؤاد بها جنونا**

ثم يناجي العباسي حمامةً ذات طوقٍ كانت تغني فوق شجرة عظيمةٍ نزل تحتها فأثارت في نفسه تباريح الشوق فيستزيدها من الغناء لأن الجواد يجب أن يكون ذا نوالٍ غير مجدود فيقول :

وذات طوق نزلنا تحت دوحتها ** وقد نغنت بأهزاجٍ على عود

فقلت حُييت هل تدرين ما فعلت ** بنا التباريح من وجدٍ وتسهيد

حتى إذا أجدت لنا لحن القري [1] قرىً ** وما بخِلْتُ على ضيف بموجودِ

وهو مأخوذ من المثل السوداني المعروف في عاميتنا (الجود بالموجود ولو من قطع الجلود) ثم يقول :

---

(1) الغريض مغني مشهور قديماً والغريض أيضاً الشعر .

أنت الجوّاد على العلات [٢]فاتخذي ** فينا جميلاً ومن هذا القرى[٣] زيدي

ونوّلينا فما فضل الجواد إذا ** ما لم يكن ذا نوال غير مجدود

مثل الذي صار في حقل الندى خلقاً ** لخالد [٤] خالد المعروف والجود

وذلك يشابه قول أبي فراس الحمداني في مخاطبته لحمامةٍ نزل تحت دوحتها [٥] :

أقول وقد ناحت بقربي حمامة ** أيا جارتا هل تعلمين بحالي

أيا جارتا ،ما أنصف الدهر بيننا ** تعالى أقاسمك الهموم تعالى

وهكذا انتقل شاعرنا العباسي من النسيب إلى المدح .

ونرى أن شاعرنا في قصيدة النهود قد جرى على سنة البدويين من الشعراء القدامي حين يمدحون أحد العظماء فيبدأون قصائد المدح بالنسيب أحياناً فيصفون مشقة الرحلة في الوصول الى الممدوح ثم يتخلصون الى مدح صاحبهم بصفات الكرم و الوفاء وشرف الأصل فقد ذكر في أول قصيدته أن حبيبته أخذت تبالغ في عزله فيذكر لها أنه قد فارق الصبا ولم يعد أسيراً لسعدى وجمال عينيها .

وقد كره في النساء هجر الدلال وأخلاف المواعيد وإنصرافه هو إلى الإبل التي تدنيه من أهله وتبعده عن الأسر وإلى غير ذلك من أساليب القدامي ولابد لكل باحث عن الجزالة في النصوص الشعرية لاي شاعر في العصر الحديث أن يتطرق لما كان عليه حال اللغة العربية عموماً والشعر خصوصاً في العصور السابقة له حتى يؤمن بدور من أسهموا في إحياء التراث العربي القديم و العودة به إلى أيام بدواته الأولى بالإطلاع عليه وهضمه ومن ثمَّ بعثه في ثوب جديد موشي بديباجة القديم ومعبراً عن قضايا العصر الحديث لذا كان لا بد من الحديث عن البارودي باعتباره رائداً للنهضة العربية الحديثة في الأدب ، ومدى تأثر شاعرنا العباسي به بإعتباره حامل لواء البعث والإحياء في الأدب السوداني وهو جزء لا يتجزأ من

---

(2) على العلات : على كل حال .

(3) القرى : ما يقدم من طعام للضيف .

(4) خالد هو خلف الله خالد وهو أكمل من عرفه الشاعر ديناً وصدقاً ونزاهة وهو الذي أثبت حقوقاً للشاعر كان قد ورثها عن آبائه في النيل الأبيض .

(5) ديوان أبي فراس الحمداني – تقديم عبد القادر محمد سابو – دار القلم العربي – بيروت – الطبعة الأولى – سوريا .

الأدب العربي فقد أراد الله أن يهيئ للشعر العربي النهوض من ذلك الضعف الذي إعتراه في عهد الأتراك والمماليك على يد الشاعر المصري محمود سامي البارودي الذي بدأ ينظم الشعر عل غرار ماكان ينظمه فحول الشعراء في العصر العباسي وكان يفعل ذلك في ديباجة سلسةٍ وأسلوبٍ ناصعٍ تأثر به كثيرون في مصر وفي العالم العربي وحذوا حذوه مثل شوقي وحافظ ومطران والرصافي والزهاوي والعباسي في السودان وأحيا أولئك النفر التراث العربي القديم واتجهوا في شعرهم إتجاهاً غنائياً ، واستخدموه في جميع الموضوعات ونحو فيه منحىً تقليدياً ، ومعنى ذلك أنهم التزموا في القصيدة القافية الواحدة ونظموا في البحور التي سماها الخليل بن أحمد وتمسكوا بالصياغة العربية من حيث الألفاظ و المجاز والخيال وسلكوا نفس الأساليب .

ولما أرادت أوربا ن تسيطر على الشرق العربي في ثقافته ودينه ولغته وتقاليده ، دعا هؤلاء الشعراء للرجوع للقديم ونجد هذه الدعوة واضحة في شعرهم مثل قصيدة شوقي التي نظمها عندما نفي مصطفى باشا كمال خليفة السلمين في بلاده سنة ١٩٢٣م والتي سماها "خلافة الإسلام" وكذلك حافظ في قصيدته " نشيد الشباب المسلمين) ومنح بعض الأدباء أياديهم ونهلوا من معين تلك الحضارة الوافدة وما المعركة الأدبية التي دارت بين أنصار القديم ودعاة التجديد إلا من إفرازات تلك المرحلة[١] .

نعود إلى مدى تأثر العباسي بالبارودي في تقليد أساليب القدامى من شعراء الأدب العربي يقول عبد المجيد عابدين [٢] .

(يذكرنا العباسي من نواحٍ كثيرة بالشاعر محمود سامي البارودي فكلاهما باعث نهضة الشعر في احد شطري وادي النيل ولم يكن الفارق الزمني بينهما كبيراً فقد توفي البارودي وللعباسي أربعة وعشرون عاماُ ولا يعدم الناقد أن يجد بعض السمات الفنية المشتركة بين البارودي والعباسي كما أن كلاً منهما حمل السيف والقلم وبرزت نزعة
البطولة والفروسية في شعره إلا أن شعر العباسي في إطاره التقليدي يحمل طابعاً معبراً عن شخصيةٍ متميزة وإذا كان العباسي قد جرى على التقليد في ظاهر العبارة

---

[1] الشاعر محمد سعيد العباسي – د. أحمد عبد الله سامي – دار الإرشاد للطباعة – الخرطوم – ص (٥٠) .

[2] نفس المصدر السابق .

وتصميم القصديدة فهو إنما ينبع غالباً من تجارب أحس بها إحساساً قوياً وهو من هؤلاء الشعراء الذين طوعوا الإسلوب التقليدي العريق بما فيه من جزالة وقوةٍ سبكٍ للتعبير عن واقع حياتهم وصميم تجاربهم ، ديباجة تذكرنا بفحولة الشعر القديم ومعانٍ حيّة فارق بها طريق القدماء ، ففي الجزالة وجد الشاعر مجاله لمحاكاة الأسلوب التقليدي) .

فالعباسي بحكم نشأته أقرب الى الإسلوب البدوي القديم الذي إتخذه ليعبر به عن تجاربه الذاتية.

أما البارودي فقد كان يتنقل من بيئته المصرية ليتمثل ببيئة بدوية جاهلية أو بيئة إسلامية بالشام أو بالعراق في عهد بني أمية أو بني العباس وكان بجعل الغزل واللهو بالخمر والنساء والحماسة والفخر أغراضاً له في القصيدة الواحدة وقد ساعده على تغمص تلك البيئات كثرة حفظه من النماذج الشعرية لفحول الشعراء وكان يصب قوالب شعره عليها من غير أن يعيش في واقع تلك البيئات وينفعل معها ولكن ملكته الشعرية هي التي مكنته من محاكاة المتقدمين حتى تخاله واحداً من شعراء ذلك الزمان فيختلط عليك الأمر إذا أردت أن تميز بين شعره وشعرهم فمثلاً جارى البارودي قصيدة أبي فراس الحمداني التي يقول في في مطلعها:

أراك عصيُّ الدمع شيمتك الصبر ** أما للهوى نهي عليك ولا أمر

قال البارودي [١] :

فكيف يعيب الناس امرئ وليس لي ** ولا لامرئ في الحب نهى ولا أمر

ولو كان مما يستطاع دفاعه ** لألوت به البيض المباتر والسمر

على أنني كلفت صدري حرقه ** من الوجد لا يقوى على حملها صدر

حياءً وكبراً أن يقال ترجحت ** به صبوه أو فلَّ من غربة الفجر

وإني امرئ لولا العوائق أذعنت ** لسلطانه البدو المغيرة والحضر

من النفر الغر الذين سيوفهم ** لها في حواشي كل داجية فجر

---

(1) البارودي رائد الشعر الحديث – دكتور شوقي ضيف – الطبعة الخامسة – ص (١٠٥) .

وللعباسي بعض القصائد التي تشبة قول البارودي في أسلوبها ففي قصيدته (وادي الربدة) تغزل وفخر وهجاء إلا أنك تستطيع أن تميز شخصية العباسي في قصيدته فهو لم يجار بها شاعراً معيناً حتى يصبها في قالبه كما فعل البارودي وإنما جاء بها من تجربته الشخصية فأصبحت لها ذاتية مميزة وسوف نتطرق لها في حديثنا عن المثل البدوية في أدب العباسي وعندما ظهرت حركة التجديد في الأدب ودعا روادها إلى اتخاذ تجاربهم الشعرية من واقع الحياة كما فعل الشاعر حمزة الملك طنبل عندما نظم قصيدته في أمرأة عجوز تضرب الودع لحمزة الشاعر وعندما قال معجباً بأعمال الحاوي

رجل كالرجال جاء بما يعجز ** عن فعلة بنو الإنسان

يأمر الماء بالوقوف فينصاع ** وإن شاء لجّ في الجريان

ثم يخلي من المياة إناءين ** إذا شاء بعد يمتلئان

يضع الشيء في يديك فتلقاه ** على الرغم منك في يد ثانِ

ويعطي الإناء وهو خلاء ** ثم يأتيك منه بالثعبان[١]

لم ترق لشاعرنا العباسي هذه النزعة من الأدب التجديدي كنظم الشعر في هذه الموضوعات التي تبدو في نظره غير جديرة بالتناول ويرى أن مادة الشعر يجب أن تكون في مستوى رفيع وعدم تطويعها لتجارب الحياة العادية ، ولذا انتقد وعارض دعاة الادب الواقعي في السودان الذين نادوا بالتحرر في اللغة وجعلها أشبه بلغة الكلام العادي ما أمكن ذلك مما أوقعهم في الأخطاء النحويّة والعروضيّة و اللغويّة ، وجعل إسلوبهم مبتذلاً في الكثير من التعابير وكان على رأس هؤلاء حمزة الملك طنبل الذي يقول في قصيدة أسماها (عاصفة) :

بينما الجو بديع رائق ** فيه للنفس من الصفو مجال

والهواءُ الطلق يهفو عابثاً ** بغصون تنثني بدلال

ومياه الحوض تنساب ضحىً ** بين أشجار الحديقة كالصلال

وشعاع الشمس منها مرسل ** مثل أسلاك من النور طوال

---

[1] انظر تاريخ الثقافة العربية في السودان للدكتور عبد المجيد عابدين – الطبعة الأولى – سنة ١٩٥٤م– (ص ٢٥٣) .

دهمتنـــــا فجــــأة عاصـــــفة ** بظـــلام ميســـــكر فـــي رمـــال

ونلاحظ المعاني المعتادة كقوله (الجو رائق) وفيه (مجال من الصفو للنفس) كما يقول عامة الناس في كلامهم العادي فهنا القول بعيد عن القول الشعري ولن تجد مثل ذلك عند العباسي لأنه إذا أراد أن يصف صفاء الهواء يستعمل كلمة نسيم وهي كلمة ذات جرس رقيق يقع في النفس موقعاً حسناً كما في قوله :

وهنالك النسيم يبعث بالماء ** ويزري والورق للماء تغري

وإذا أراد أن يتحدث عن شعاع الشمس فإنه لا يشبهه بأسلاك النور الطوال كما فعل طنبل الذي جعل المشبه به أضعف من المشبه فأسلاك النور هي المشبه به وهي أضعف من شعاع الشمس وكان عليه أن يجعل المشبه به أقوى من المشبه بل نجد شاعرنا العباسي يشبه الشمس بذوب العسجد فيقول :

والشمس ألقت في كؤوس الغرب ذوب العسجد

والفرق واضح بين الصورتين فبيت العباسي قوي ناصعُ الديباجة وبيت طنبل ركيك في عبارته .

كما خالف العباسي دعاة التجديد في طريقة نظم الشعر وعارض عدم تقيد الشعر بقافية واحدة وقيامه على التفعيلة بدلاً عن الشطر وكان من بين هؤلاء التجاني يوسف بشير كما نرى في قصيدته (الصوفي المعذب)[١] .

وقدْ كتب سليمان كشه ليقرر على لسان العباسي رأيه في الذين لا يتقيدون بالعروض والقافية ما يلي :

(إن انطلاقة الشاعر هو شعوره الحقيقي ، ولكن الشعر هو ما كان مطابقاً للعروض والقيود المفروضة على الشاعر ، ولا يكون الشاعر شاعراً إلا إذا استطاع

---

[1] انظر ديوان إشراقة للتجاني يوسف بشير .

أن يحقق تلك القيود في شعره ، وتجيء الجزالة والرصانة بقدر تمكن الشاعر من اللغة العربيّة ، وبقدر ذلك التمكن تتدفق المعاني فتكسو القصيدة ثوبها الأخاذ) [٢].

وحجة القول في مذهب العباسي ،ما ذكره الدكتور عبد الله الطيب بقوله ((شكوى النقاد والشعراء المعاصرين من نظام القافية العربية أشدّ وأمرّ ، إذ القافية في نظرهم قيد ثقيل ، يمنع من التعبير الصحيح ، ويشغل الشاعر عن الإسترسال في معانيه ، بالتفتيش عن أحرف الروى المناسبة . وهذه الحُجّة في ذاتها ضعيفة ، لأن اللغة العربية واسعة جداً وبنْيتها تساعد على كثرة القوافي ، إذ فيها أكثر من ستين ألف أصلٍ ثلاثي ورباعي، وكل أصل من هذه الأصول له نظائر عدة تنتهي بمثل الحرف الذي ينتهي به ذلك الأصل ، نحو (ضَربَ ، كتَب ، طرِبَ ، سَلبَ ، هرَب ، رغِبَ) وهلم جرا ثم أن هذه الأصول فيها نحو عشرين ألف أصل ، ذي فروع ومشتقّات ، وهذه المشتقّات تنتهي بنفس الحروف التي تنتهي بها أصولها في الغالب نحو (كاتب وكتب وكتائب وسلب وسليب وسالب وأسلاب.

وما لا ينتهي منها بحروف أصولها نحو : (فرحان من فرح وحسناء من حسن يقع في صيغ تعين على كثرة القوافي كباب فعلان وفَعْلاَء وفعلن ولا ننسى الضمائر فإن لها من تيسير القوافي أثراً عظيماً ، وكل هذا يجعل الكلمات المتشابهة الأواخر كثيرة جداً في القاموس العربي حتى أن أمر السجع والتقفية يصير سهلاً للغاية)) [١].

ويرد البروفيسور عبد الله الطيب إتجاه هؤلاء للشعر المرسل إلى ضعف ذخيرتهم اللغوية ومحفوظهم الضئيل من الكلمات مما يستدعي نظاماً من التأليف يخالف القديم .

كما أن العباسي شبيه بأسلوبه الجزل ولغته الرصينة بالشاعر السوداني عبد الله محمد عمر البنا . فالعباسي ولد سنة ١٨٨١م . وبعده بتسع سنوات ولد شاعرنا

---

[2] انظر عدد صحيفة الثورة بتاريخ ٢٢ /٢ / ١٩٦٣ م

[1] المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها د. عبد الله الطيب طبعة الحلبي سنة ١٩٥٥م الجزء الأول ص ٧ – ٨.

الكبير عبد الله محمد عمر البنا أي في سنة ١٨٩٠م بأم درمان وكليهما استقى ثقافته العالية من معين خلاوي القرآن متنقلاً بينها للحفظ ودراسة العربية وخاصة النحو والعروض كما أنهما كانا من بيت زعامة دينية وأدبية لأن أبويهما كانا شاعرين عاصرا المهدية وكان لهما دوُر كبير في توجيه قائدها الإمام محمد أحمد المهدي ونشر تعاليمه فكان والد العباسي الشيخ محمد شريف نور الدائم أستاذ المهدي وكان والد البنا هو محمد عمر البنا شاعر المهدية المعروف وأكثر من دانوا لها بالولاء والطاعة فكانت له مكانة مرموقة ومنزلة سامية لدى المهدي وهو الذي أذاع ملاحمه ووثّق لمعاركه وهو صاحب القصيدة التائية المشهورة التي نظمها في قدير والتي يقول في مطلعها:

الحرب صبر واللقاء ثبات ** والموت في شأن الإله حياة

وقد كان لهما أكبر الأثر في توجيه حياتهما الأدبية والأخلاقية ، فكان كليهما يضع في نظمه لشعره نصب عينيه نشأتهما الدينية وتوجيههما الأدبي وعند وفاة الشيخ محمد شريف نور الدائم رثاه ابنه العباسي بقصيدة يقول فيها :

حي الديار وسلها كيف أرداها ** ريب الزمان بسهم ما تخطاها

وحي من قد ثووا فيها وقل لهم ** يرعاكم الله بالسقيا ويرعاها

إن الليالي ذاوت الغدر راعية ** ختالة ونقوس الناس مرعاها

ما أصبحوا من مراميها على دعةٍ ** إلا وأمسوا على خوفٍ بمغزاها

كم يأمل الناس آمالاً فيدهمهم ** موت يعالجهم من حيث مأتاها

ومما يعاب عليه فيها أنه اصطنع لها قافية لا تساعد على الانطلاق في التعبير عن العاطفة وهي قافية الهاء المطلقة فهي قافية صعبة يتخير الشاعر لها الكلمات اختياراً فلا تساعد على الاندفاع للتعبير عن الحزن والأسى وجنح فيها لبعض المبالغة وكنّا نأمل أن يجئ رثاء العباسي لأبيه أكثر تعبيراً عن الأسى والحزن من الذي نظمه لما كان له من الإثر البالغ في تكوين شخصيته ولفقده له في فترة كان في أمس الحاجة له ليستمد من جاهه ومكانته العظيمة ما يعينه في حياته .

وعندما توفي الشاعر محمد عمر البنا رثاه ابنه عبد الله بقصيدة يقول في مطلعها:

عيـن الكمـال لهـول يومـك تـزرف ** والمجـد يرْعِـدُ والشـريعة ترجـف
دهـم الزمـان بـك الزمـان ففاتـه الـ ** مجـد التـليد وفاتـه المستطـرف
رفّـاع ألويـة العـلا أرى العـلا ** مهـجورةً طرقـاتها تتلـهف
دفـّاع عاديـة الزمـان أرى الـورى ** ضـاق الخـناق بهـم وشـقّ الموقـف
حمـّال أثقـال المغـارم أصـبحت ** دور المكـارم للـبلى تسـتهدف[1]

وكان البنا على خلاف العباسي في اختيار القافية الفائية التي مكنته من إظهار الحزن والأسى ولم تحد من انطلاقه كما كان لاستخدامه لصيغة المبالغة على وزن "فعّال" في قوله (رفّاع ، دفّاع ، حمّال ، كشّاف ، لبّاس ، نزّال) أكبر الأثر في نقل مشاعره إلى المتأمل في هذا الرثاء لأن استعمال هذه الصيغة تدل على التفوق وعلو قدر المتصف بها لذلك قالت الخنساء في رثاء أخيها صخر مفاخرة به :

حمـّال الويه هبّاط أودية ** شهّاد أنـدية للجيش جرّار

كما أن كليهما التزم نهج القصيدة العربية القديمة من وحدة وزنٍ وقافية مع جزالة في الألفاظ ووضوح في المعاني وإن كان يحمد للعباسي أن ذاتيته تظهر بوضوحٍ في شعره مصحوبة بموسيقى عذبة وجرْسٍ رنان برغم أنهما تناولتا موضوعات واحدة في أغلب الأحيان ، كما يعاب على البنا جنوحه إلى التكرار الممل في العبارات في كثير من شعره كتكراره لعبارة (كم) في قصيدة ذكرى اللغة العربية [2] أربع مرات على التوالي كذلك تكراره لعبارة (حتى أرى) في نفس القصيدة سبع مرات في قوله مخاطبا اللغة العربية :

أم اللـغات عـويلي غـير منقطـع ** حتـى أرى الـدهر ، عبـداً مـن رعايـاك
حتـى أرى لـك داراً لا تضـام ولا ** تطـل إلا عـلى مجـد ثرايـاك
حتـى أرى لـك حظـاً فـي الحـياة وإن ** طـال الرقّـاد علـى أنقـاض موتـاك
حـتى أرى لـك أبـواباً مفـتحةً ** بطـالبي العـلم تشـفي داء مرضـاك
حـتى أرى لـك دوراً كالربيـع إذا ** شـط الزمـان وعـمّ الكـرب غرثـاك
حتـى أرى السيف يمضـي إن غضـبت ** ولا يـراع فيـك أمـرؤ بالغيـب رعـاك
حـتى أرى المـال يجبـيه وينشـره ** علـى المقـلين والعـافين أبنـاك
حتـى أرى الرزق يجري طوع ما كتبت علـى الطـروس مـن الآيـات فصـحاك

[1] ديوان الشاعر عبد الله محمد عمرالبنا – الطبعة الثانية (١٩٨٥م) – ص (١٦٥) .
[2] المرجع السابق – ص (٩٦) .

**

ثم كرر بقوله (ولو) بعد الأبيات السابقة ست مرات ولن تجد هذا التكرار أو قريباً منه عند العباسي مما يدل على سعة قاموس العباسي اللغوي وحرصه على امتناع المتتبع لديوانه بتعدد العبارات المترادفة مجانباً له بذلك عن الملل والرتابة فانظر إليه في قصيده دارة الحمراء [١](ص ١٠٧) وهو يكرر حرف النفي (لا) مرغماً لعدم وجود حرف أقوى منه في الموضع الذي ذكره فيه ولم يكرره إلا في ثلاث أبيات متتالية فيقول :

فـــيا أخـــا البـــدر استـــمع ** ويــــا عــــوالم اشــــهدي

إن حــــلت عـــن ودي فـــلا ** أرضـــى الكـــمال مشهــــدي

لا صــــرّفت كـــــفي فـــي ** الهيـــجاء عـــنان الأجـــرد [٢]

ولا أزدهـــــــت بقـــــائم ** السيـــــف ولا الرمـــح يـــدي

ولا ادّرعــــت غيــــر هيـــا ** ب حبــــــيك الـــــــزرد[٣]

كما أنهما معاً عملاً على توجيه أمتهما نحو العلا وصوب المجد بعيداً عن خطى المستعمر البغيض وسياسته التي زرعت في أمتهما من أبناء جيلهم بذور الفرقة والشتات وأورثتهم الجوع والفقر والمرض متخذين من شعرهم أداة لنشر ثقافته الاستقلال والحرية .

كما أن كلا الشاعرين كانت بدايات الشعر عنده مجاراة قصائد التصوف المشهورة التي نظمها أمثال البوصيري وأبو مدين الغوث ومحي الدين بن عربي وربما كانت الغاية من تلك القصائد الظهور على ساحة الشعر ظهوراً سلمياً أو ولادةٍ طبيعية ، دخول إلى حلبة الشعر دونما عسر حيث موضوعات القصائد تتفق والآراء تتحد والنهر الشعري هو من المنبع للمصب دونما حواجز أو عقبات فلا شئ فيهما يميز بين الشاعرين إلا عن طريق الجرس اللفظي وطريقة استخدام المحسنات البديعية أو نحو ذلك .

فالعباسي في ديوانه قام بتخميس قصيدة أبي مدين الغوث[١] فجعل تخميس كل بيتٍ لوحده فالأول تخميس العباسي والثاني لمحي الدين بن عربي والثالث للشيخ عبد المحمود نور الدائم عم العباسي فيقول فيها .

---

(1) ديوان العباسي الطبعة الثانية ١٩٩٩م (ص ١٠٧) .

(2) الأجرد : المراد به السباق والأصل فيه قصير الشعر ورقيقه .

(3) حبيك الزرد : الدرع .

(1) ديوان العباسي – الدار السودانية – الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص (٢٦٤) .

قلت:

قـم جـرّد العـزم للطـاعات مبتـدرا ** وراقب الله تحمد في الصباح سرى

وأن ترد صحبة فالمستشـار يرى

مـا لـذة العـيش إلا صحـبة الفقـرا ** هم السلاطين والسـادات والأمـراء

الأستاذ الأكبر الشيخ محي الدين بن العربي

يـا طالبـاً مـن لـذاذات الـدنا وطـرا ** إذا أردت جميـع الخيـر فيـك يـرى

المستشـار أمين فأسـأل الخبرا

مـا لـذة العـيش إلا صحـبة الفقـرا ** هم السلاطين والسـادات والأمـراء

سـيدي الشيخ عبد المحمـود

إلـى متـى انـت محـتار الفـؤاد تـرى ** والركب عرّس في حان الطلا سحرا

ان رمت تغفـوه خد مقال الخـبرا

مـا لـذة العـيش إلا صحـبة الفقـرا ** هم السلاطين والسـادات والأمـراء

وهي من تسع وثلاثون تخميسة وكلها تتحدث عن مآثر وأخلاق وأدب المتصوفة وأعلامهم كما قام البنا بتشطير برده الإمام البوصيري فيقول [٢]:

أمـن تذكّـر جيـران بـذي سـلم ** سـهرت ليلـك ترعـى الـنجم فـي الظلـم

وكلمـا أضـطرمت نـار الأسـى ونمـت ** مزجـت دمعـاً جـرى مـن مقـلة بـدم

أم هبـت الـريح مـن تلقـاء كاظمـة ** فحـركت نـار وجـد فيـك لـم تـنم

وهكـذا لعبـت بالصـبر إذ نفحـت ** وأومض البرق في الظلمـاء من أضم

فمـا لعينيـك أذ قلـت أكففـا همـتا ** ومـا لغـزمك أن تقصـده ينهـزم

ومـا لحزمـك إن تـركن إليـه يهـن ** ومـا لقلـبك أن قـلت أسـتفق يهـم

أيحسـب الصّـب أن الحـبّ منكتـم ** مـع الحـمامين مـن ذل ومـن نـدم

والـدمع كالسيل فـارحم مهجـه وقعت ** مـا بيـن منسـجم منـه ومضـطرم

لـولا الهوى لم تـرق دمعاً على طلل ** ولـم تبـت ذايـع الأسـرار والحـرم

---

(2) ديوان الشاعر عبد الله محمد عمرالبنا – الطبعة الثانية (١٩٨٥م) – ص (٢٩) .

وهي قصيدة طويلة قوامها ثلاثمائة وأربعة عشر بيتاً يمدح بها النبي (صلى الله عليه وسلم) ويعدد فيها صفاته الحميدة ويثني على أخلاقه الكريمة ويذكر فضله على أمته كما يشيد بمآثر صحابته رضوان الله عليهم .

وقد اتبع كلا الشاعرين نفس الأسلوب القديم للقصيدة المادحة فأولعا بذكر انتشار الضياء حين ولد النبي (صلى الله عليه وسلم) وانشقاق إيوان كسرى وخمود نار المجوس على نحو ما نعرف في كتب السيرة النبوية .

كما أن ديوان الشعر عندهم ينقسم إلى أربعة أقسام نبويات اجتماعيات ،مدح ، رثاء إلا أن العباسي زاد عليها الغزليات كما أضاف إلبنا الشعر القصصي وهو عنده ليس كما عند العباسي وعمر بن أبي ربيعة تتحدث فيه شخوص الرواية عن نفسها ولكنه شعر تعليمي يريد به الحكمة كما في كليلة ودمنة وقد أطلق على هذه القصائد السلحفاء والبطتان ، أنا والأعرابي ، الناسك والأوهام ، ابن الملك وأصحابه ، الخريف ، وسنأخذ من قصيدة ابن الملك وأصحابه نموذج ينم على روح البنا الميالة للحكمة والتوجيه يقول :

الدهر ذو صرف ملئ بالكدر ** كم ساء حراً بالأذاة وكم غدر

في جوره عدل لأن الناسا ** يعمهم ولا يخص باسا

لدى الملوك حكمه مطاع ** وهكذا السوقه والرعاع

فمن أحاديث الزمان الممتعة ** إن رفاقاً في طريق أربعة

أحدهم نال أبوه الملكا ** والثاني كان ذا جمال يحكى

وثالث من ولد التجار ** ورابع من والد أكار[1]

وهي قصيدة يوازن فيها بين الملك والمال والعقل والجمال فيرى أن الملك أقل مرتبة فيها جميعاً لأنه ذاهب ويحكي ذلك بأسلوب ممتع شيق يشهد له بالتمكن من هذا الفن .

ويجدر بنا ذكر أن الشاعرين كانا من أنصار تعليم المرأة والتي تشكل نصف المجتمع لذا قاما برثاء يوسف بدري عند وفاته باعتباره رائد تعليم المرأة

---

[1] الأكار : حارث الأرض .

ولعلاقتهما الشخصية به فقد كان صديقاً مشتركاً بينهما يقول العباسي في رثائه له متبعاً الأسلوب التقليدي بالوقوف على الأطلال :

قف وقفة الشوق بين الأثل[١]والضال[٢] ** فحيِّ دارس أثارٍ وأطلال
واستسق جفنك هطالاً يجود به ** أن لم يك المزن يا هذا بهطّال

ثم يقول :

كأنها اليوم لما غاب سامرها ** دار الذين استقلوا منذ أجيال
فطالما كنت مصطافاً ومرتبعاً ** وقبله حاجات وآمال
أغدو مع النفر الأعلين مدّرعاً ** نعمي الشباب وأمسى ناعم البال
والعيش كالدهر في جناته عبق ** وطالع الدهر في سعد وإقبال

إلى قوله [٣] :

تلك القوافي وقد جاءت محبرةً ** (ليوسف) الخير من مأثور أقوالي
الطاهر الذيل محمود السريرة ميـ ** ـمون النقية في حلٍ وترحال
يا نازحاً أنا أهواه وأذكره ** ذكرى الشباب وذكرى عهده الخالي
إن تسأل اليوم عن شأني وعن خبرى ** فان ثوب اصطباري بعدكم بالي
وإن سلوتم فلا والله ما أنا في ** حبي لكم يا كرام الحي بالسالي
أنوح إن شمت[٤] برقا من ربوعكم ** شوقاً وهل نافع نوحي وإعوالي
وان يك الدمع يقضي حق ذي كرم ** لسنا وحقك في هذا ببخّال

وهي من أجود مراثيه وأصدق عاطفة وأرق أسلوباً .

أما البنا فيقول في رثاء يوسف بدري :

الحتّ تباريح الصبابة والوجد ** به فقضى حزنا وإن كان لا يجدي

إلى قوله [٥] :

فتى يوسفي الطبع عف إزاره ** وان كان بدري الشمائل والأيدي

---

[1]الأثل : نوع من الشجر هي المعروفة عندنا في السودان بشجر (الطرفة) .

[2]الضال : السدر البري .

[3] ديوان العباسي الدار السودانية للكتب – ا لطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص(٢٢٠) .

[4]شمت : علمت وعرفت .

[5] ديوان الشاعر عبد الله محمد عمر البنا – الطبعة الثانية – ١٩٨٥م .

أبـو يوسـف لا تبعـد علـى كـل حـالـه ** وان كـان جـوف القبـر أقصـى مـن البعـــــد
نظـرت لهـذا الـدهر نظـرة حكـمـة ** فأظهرت ما يخفي وأخفيت ما يبدي

ولكأني بالبنا قد تقمص روح ابن الرومي في داليته التي رثا بها ابنه الأوسط عند وفاته والتي يقول في مطلعها مخاطباً عينيه :

بكاؤكما يشـفي وان كان لا يجدي ** فجـودا فقد أودي نظيركما عندي

فلا هو أجاد كما أجاد ابن الرومي في نقل مشاعره وتصوير أحاسيسه التي انتابته عند وفاة ابنه ولا أصبغ على القصيدة روحه خالصة لتشاركه آلامه في فقد شخصية قوية مثل يوسف بدري وان كناّ ندرك مدى علاقته الوثيقة به .

كما أنهما اتخذا من البكاء على آثار الإسلام الدراسة في دمشق وغيرها من المدن الإسلامية أداءه لاستنهاض الهمم تأملاً في الماضي واستشرافاً للمستقبل .

فالعباسـي تحسر على مجد العرب التالد في تكريم أمير الشـعراء أحمد شـوقي فيقول [1]:

يـا فخـر مصـر بماضـيها وحاضرهـا ** وسـعد مصـر بهـذا الشـاعر الأرب
ناضـلت عنهـا فمـا خانـت ولا وهنـت ** قـواك فـي غـير مـا مـنّ ولا صـخب
مواقــف وقعــها فـــي كـــل نـــازلةٍ ** وقـع السـلامة في أحشـاء مضطرب
قـم ذكـر القـوم بالماضـين مـا فعــلوا ** واذكـر لهـم كيف كانـت دولـة العرب
واذكــر أميــة واذكـــر مجـد هاشمــها ** والمنعـمين بنــي حمـدان فـي حلـب
مـن لا يعــابون فــي حـال إذا قــدروا ** ولا تغــيـر مــنهم سـورة الغضــب
كانــت بهـم دولــة الإسـلام فـي دعـةٍ ** ومــن عزائمـهم فـي معقـلٍ اشـب[2]
أيام قد بسطوا ظل الحضارة في الدنيا ** وجـــاءوا لـــهذا الدهـــر بالعجــب
حضــارة مــا أباحـت للضـعيف حــماً ** ولا أجــازت بحــالٍ عـزْم مغتصـب
هل مـن رسـول إلـى قـومي فيخــبرهم ** أن لا سبــيل إلــى العليـا بــلا تعـب

ثم تخلص على توجيه قومه واستنهاض هممهم .

وكذلك فعل البنا في قصيدة هي من روائع شعره وهي نونية أطلق عليها تحية العام الهجري ١٣٣٩هـ يقول [3] :

---

(1) ديوان العباسي – الدار السودانية الطبعة الثانية – ص (٦) .

(2) المعقل الأشب : القوي المتين .

(3) ديوان الشاعر عبد الله محمد عمر البنا – الطبعة الثانية – ١٩٨٥ م – ص (٥٥)

يـا ذا الهــلال عـن الدنيــا أو الـدين ** حـدّث فــإن حـديثاً منـك يشـفيني
طلـــعت كــالنون لا تنفـكّ فــي صِـغَرٍ ** طفـلاً وانـك قـد شــاهدت ذا النـون
ســايرت نوحــاً ولــم تركــب سفـــينته ** وانـت انـت فتـاً فـي عصـر زيْلين (٤)
حدث عن الاعصر الاولى لتضحكني ** فـإن اخبــار هــذا العــصر تبكــيني
خبِّـــر ملــــوكاً ذوي عـــزٍ وأبهــــةٍ ** ان المــلوك وان عـزوا الــي هــون
وارمُــق بطـــرفك مــن بغــداد داثرهــا ** واندب بها كل ماضـي العزم ميمـون
ســلها تخـــبرك كــم ضــمت مقـــابرها ** مـن ذي حــافظ وبـذل غيـر ميمـون
سلها عن المسجد المعـمور جـانبه ** بــالعلم والخـــير والآداب والـــدين
وســل زبيـــدة عـــن قصـــرٍ تبـــوأه ** بعد الأمــين حسـام الشـهم مـأمون

وفيها يتحدث عن آثار الأمويين في دمشق وعن حضارة العباسيين في بغداد وعن الساسة الحكماء الذين آلت لهم مقاليد الحكم في الدولة الإسلامية وهي قصيدة قريبـة الشبه بنونيـة شـوقي التـي بكـى فيهـا آثـار الأمـويين بدمشـق والتـي يقـول فـي مطلعها :

قم ناجي جّلق وانشد رسم من بانوا ** مشت على الرسم أحداث وأزمان

وكذلك الفردوس المفقود لمحمد المهدي المجذوب والتي يقول في مطلعها :

نـزلت شطك بعد البين ولهانا ** فذقت فيك من التبريح الوانا

من حيث العاطفة والخيال والسرد التاريخي للأحداث .

كما انهما تأثرا معاً بحياة البادية العباسي ببادية الكبابيش في غرب السودان والتـي عاش فيها العباسي مدفوعاً إليها بالأحداث التـي ألّمت بـه ثّم انـه احبها بعد ذلك حباً ملك عليـه شـغاف قلبـه . والبنـا اختارهـا بمحض أرادتـه لجذوره العميقـة فيها رغم ميلاده فـي ام درمان مما اكسبهم فصاحة اللسان وجزالة اللفظ وصدق الشعور وان كان البنا في تناولـه لطبيعـة الباديـة أدق وصـفاً والصـق شعوراً من العباسـي انظـر إليـه يقـول فـي قصيدته التـي أطلق عليها البادية أو البطانة يصف طبيعة الحياة فيها فيقول :

رعـــى الرحمـــن اهلــك مــا أقامــوا ** ومـــا رحـــلوا وحـــيّاك الغمـــام

---

(4) زيلين : الإشـارة هنـا إلـى المخترع الألمـاني الكونـت فردنـان وبلـين ١٨٣٨ – ١٩١٧ م مخترع المناطيد التـي اشتهرت برحلاتها الجوية ابان الحرب العالمية الأولى .

ولا زالــت عـــهاد المـــزن تهـــمي ** عليــك وصــوبها هـــطل سجـــام
أمامــه : أنــت نــور العـــين مــنى ** تشـــق بـــه الغياهـــب والظـــلام
رحـــلت إلـــي البـــطانة وهـــي روحُ ** وريحـــــانٌ وعشـــــرتها ســـــلام
تـــــناثرت الظــــباء علـــى ثراهـــا ** وراتعـــــها مـــع الأنـــس الســـوام
اذا ضـــج البهـــام بـــــها عِشــــاءً ** اجـــاب مـــن الطـــلا فيهـــا بغـــام
وإن غنـــــت جواريـــــها ابتـــــهاجاً ** شـــدا بجـــوانب الأيـــك الحمـــام
ريــــــاض الله بسطـــــها فكـــــانت ** دليـــــلَ وجـــــوده ولـــــه الـــدوام
تألـــــق زهـــرها فيـــــها نثــــاراً ** تألـــــف مـــــن جـــواهره نظـــام
فـــرادى كاليــــتائم مـــن وشـــــاح ** واحيـــانا عــــلى نســــق تـــؤام
فمحـــــــمّرٍ كيــــــاقوت نثــــــيرِ ** ومصــــفرٍ يُقّـبل او يـرام لـــه فـي
وازهـــر كالثـــغور اللعـــس أحـــوى ** وجـــــــه نــــــاظره ابتســــــام
تكـــــاد شـــــقائق النعــــمان فيــــها ** تنـــادى مـــا وراءك يـــا عصـــام
هـــنالك حيـــــث تـــاتلف العـــزازى ** وتشــــــتبه المــــجاسد والخـــيام
وحــيث تــرى النســيم يضــوع طيبـاً ** فيحـــــياً مــــن مراقـــده الغـــرام
وكـــل خـــريدةٍ فـــي الحـــي ليلـــى ** لـــــها قيــــس يؤرقـــــه الهيـــام
حـــلالُ وصـــــلها عـــــف هـــــواه ** حــــرام ان يدنــــــسه حــــرام
كريمــــــة عمــــه ولـــــه أبوهــــا ** حســــام حــــين يفتّـــد الحســـام
وحيـــــث تـــرى مـــن الاحـــرار ركـبـاً ** بكـــــفي كـــــل ذي انــــف ذمـــام
يبـــاري كالــــرياح الهــــوج حينــــاً ** واحـــــيانا كـــــما ريـــــع النعـــام
رفـــاق الضـــيف أنـــى حـــلّ هبـــوا ** نشـــاوي الجـــود فهـــو لهـــم مـــدام
يكـــــاد البشــــر يقطـــر مـــن وجـــوه ** لــــها للضـــــيف ضـــم والتـــزام
إذا نحـــــروا العشــــــار مودّعــــات ** فـــــلا مـــــنٌّ بــــذاك ولا كــــلام

ويشابه العباسي ذلك الوصف في مليط التي يقول فيها :

حيـاك مليط صـوب العـارض الغـادي ** وجـــاد واديـك ذا الجنـات مـن واد
فكـم جلـوت لنـا مـن منظـرٍ عجـبٍ ** يشجي الخليّ ويروي غلّه الصادي
أنسيـــتني بـرحْ آلامـي ومــا أخـذت ** منـا المـــطايا بـا يجـافٍ وايخـاد
كثـبانك العـفرُ مـا أبهـى مناظرهـا ** انـــس لـذي وحشـة رزق لمرتـاد
فبـاسق النخـل مل الطرف يلـثم مـن ** ذيـل الســـحاب بــلا كـد واجهـاد

كـــــانه ورمـــــالاً حـــــوله ارتفعـــت ** اعـــلام جـيش بناهـا فـوق اطـواد
واعـين المـاء تجـري مـن جـداولها ** صـــوارماً عرضـوها غيـر اغمـاد
والـــورق تهـــتف والاظـــلال وارفـــة ** والــــريح تــــدفع ميـــاداً لميـــاد
لـو استطـعت لأهـديت الخلـود لهـا ** لـو كـان شئ علـى الدنيا لا خـلاد
أنـت المطـيرة فـي ظـلٍ وفـي شـجر ** فقـــدت أصـوات رهبـانٍ وعبـاد
أعيــذ حســـنك بالرحـــمن مبدعـــه ** يـا غـرة العين مـن عـين وحسـاد
وضعـت رحلـي منـــها بالكرامـة فـي ** دار ابن بجدتها (نصر بن شداد)[١]
فاقتـادت اللّـب منـى قـود ذي رسـنٍ ** ورقـاء أهـدت لنـا لحـناً بـترداد
هـاتى الحـديث رعـاك الله مسعـفةً ** واسـعدي فكـــلانا ذو هـوىً بـادي
فحركـــت لهـــوى الأوطـــان أفئــــدةً ** وأحـــرقت نضـو أحشـاء وأكبـاد

وهي أيضا من روائع شعره ودقائق وصفه وختاماً فإن المعاصرة بين البنا والعباسي والتشابه في البيئة الاجتماعية حتماً قد أحدث الكثير من سمات التشابه ما لم نحط به في موضوعنا هذا كما أوجدت سمات الاختلاف في الأسلوب طوراً والناحية النفسية طوراً آخر ولكنه قطعاً اختلافٌ ليس من شأنه أن يؤثر على شعرهم في جملته .

كذلك إن شاعرنا العباسي في جزالة أسلوبه وسهولة عبارته يشابه كثيراً فتى قريش المدلل وأول شاعر ينبغ فيها وهو عمر بن أبي ربيعة خاصة في قصائد الغزل التي نظمها والاسلوب القصصي الذي انتهجوه في سرد الأحداث والتي جعلوا فيها شخوص الرواية تحّدث عن نفسها بنفسها ووصف شعورهم عند الدخول الى خدْر المحبوبة وأحاسيسهم عند لقائها وشعور محبوبتهم وعجبها من عدم مبالاتهم من قومها وشاعرنا يقول في قصيدته (شمس المِلاح)[١].

عـــاد ذاك الحبيـــب بعــد جمـــاح[٢] ** راضـــياً بالـــذي جنـــاه اقـــتراح
وسقـــاني كـــاس الوصـــال دهـــاقاً[٣] ** وقـــد أفـــترّ منــــه ثغـــر السمـــاح

---

(1) نصر بن شداد كان مأمور مليط وصديقاً حميماً للشاعر .

(1) ديوان العباسي دار البلد ١٩٩٩م (ص ١٣٤) .

(2) جماح : فعلها جمح أي استعصى والمراد صدود محبوبته عنه .

(3) دهاقا : مملؤة مترعة .

ما أبالي بالشمس يوماً وقد بات ** نديمي بالأمس شمس الملاح
فكأني وقد طرقت [٤] فتاة الحي ** أمشي على رؤوس الرماح[٥]
وتراني مستخفياً بردائي ** خوف وأشٍ ألقاه أوخوف لاحٍ[٦]
عجباً أن أُرى الجبان وقد كنت ** قديماً أدعى بكبش النطاح
رشأٌ [٧] يعتزى بمكسور جفن ** أين منه فعل الجفون الصحاحِ
ذو قوام كالسمهري اعتدالاً ** وخدودٍ تحكي شميم[٨]الإقاحِ
فانتهبنا إلصاق حرّي بحرّي ** نتناجى وهصر راحٍ براحِ
صاح لو جئتنا وقد أسدّل الليـ ** لِ رواقيه قلت نضوا كفاحِ
يده في حمائل السيف منى ** ويدي منه في مكان الوشاحِ
لم يرعنا في ذلك الليل إلا ** هزج الحليّ[١] او حفيف الرياحِ
هذه حالنا إلى أن تبدي ** صائحاً في النّوام ديك الصباحِ

ثم يأتي عمر بن أبي ربيعة فيصف لنا حاله مع محبوبته (نُعْم) وشقفه بها وشوقه لها وهي بعيدة عنه فيسأل عنها كل قادمٍ من ديارها ثم يصف حالة أهلها عند زيارته لها ثم يدلف بنا لوصف شعوره في (ليلة ذي دوران) وهو موضعٌ في الحجاز عندما دخل إلى خدرها وهي نائمة يقول [٢]:

وليلة ذي دوران جشمتني[٣] السّرى ** وقد يجشم الهول المحب المغرّر[٤]
فبت رقيباً للرفاق على شفاً [٥] ** أحازر منهم من يطوف وانظر

---

(4) طرقت فتاة الحي : زرتها ليلاً .

(7) رشأ : إبن الظبي

(5)أمشي على رؤوس الرماح : يريد الشاعر وصف الصعاب التي صادفته وزللها في طريقه إلى محبوبته .

(6) لاحٍ : لائم .

(8)شميم الإقاح : ما يشم من الإقاح وهو زهر أبيض اللون .

(1) هزج الحلى : حركة حلي المحبوب .

(2) ديوان عمر بن إبي ربيعة تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – دار الأندلس بيروت – الطبعة الثانية ١٩٨٣م .

(3) جشمتني : كلفتني .

(5) على شفا : على حذر وتربص

(4) المغرر : الذي يعرض نفسه للهلاك .

إلـيهم متـى يستـمكن النـوم منهـمو ** ولـي مجلـسٌ لـولا اللِبانـة [٦]أوعـر
وباتــت قلــوصي بالعــراء ورحلهـــا ** لطـارق ليـلٍ أو لمـن جـاء معـور
وبـت أنـاجي النفـس ايـن خباؤهـا ؟ ** وكيـف لمـا أتـى مـن الامـر مصـدر

فيصف لنا حالته النفسية بين الترقب والانتظار والخوف من الوشاه الذين حدوا به الي ان يسهر الليل كامناً في ظلامه متحيناً نومهم آملاً في هجوعهم راجياً غفلتهم عنه حتي يدخل الي خدر محبوبته دون اكتراثٍ او مبالاة لناقته التي قد تتعرض للسرقة من قطاع الطرق او المارة رغم حيرته في مكان مبيت محبوبته حتي يدخل له علي بصيرة من امره فتدله عليه رائحةٍ زكية تفوح منه لكنه يتحوط من كشف امره فينتظر انقطاع الاصوات وانطفاء المصابيح والانوار وغياب القمر ورجوع الدعاه ونوم السمّار حتي يخلو له الجو فيقبل عليها كما تمشي الحّية وهو مائلٌ ومنعطف خشية افتضاحِ امره ٠

فـدلّ عليهـا القـلب ريّـاً[٧] عرفتـها ** لها ، وهوى النفس الذي كاد يظـهر
فلمـا فقـدت الصـوت منـهم وأطفـئت ** مصـابيحُ شـبّت فـي العِشـاء وأنـور
وغـاب قميـر كنـت أرجـو غيـويه ** وروّح رُعـيان ونـوّم سـمّر
نفضـت عنـي النـوم أقبلـت مشـية الحـباب[٨] ** وركنـي خشـية القـوم أزور[٩]

ثم يصف لنا حال محبوبته عند دخوله عليها بين الوله والخوف حتي كادت تجهر بالتحية رداً علي تحيته لها ثم معاتبتها له في تعريضها للفضيحة اذا كشف امره وعدم مبالاته باعدائه الذين يتربّصون به فيطمئنها بحرصه علي التستر وحزره من الوشاه فتلين له وتلبي حاجته وتحقق رغبته.

فَحَييْـتُ إذ فاجـأتها فـتولهت[١] ** وكـادت بمخـفوض التحيـة تجـهر
وقالـت وعضـت بالبنـان فضـحتني ** وأنـت امـرءٍ ميسـور أمـرك أعسـر

---

[6] لولا اللبانة : لولا الحاجة والهوى

[7] رياً : الرائحة الذكية .

[8] مشية الحباب : كما تمشي الحية .

[9]ركني أزور : أي جسمي مائل منعطف خشية أن يراني أحد .

[1] فتولهت : اشتد بها الوجد .

أريتـك [٢] إذ هنـا عليـك الـم تخـف ؟ ** وُقِيِتَ وحـولي مـن عـدوك حضـرّ ؟

فـو الله مـا أدري أتعجـيل حاجـةٍ ** سرت بك أم قد نـام من كنت تحـزر ؟

فقلت لهـا : بـل قـادني الشـوق والـهـوى ** إليـك ومـا عـينٌ مـن النـاس تنظـر

فقالـت وقـد لانـت وأفـرخ روعـهـا[٣] ** كـلاك [٤] بحفـظٍ ربـك المتكبـر

فأنـت أبـا الخطـاب[٥] غيـر مـدافعٍ [٦] ** علـيّ أمـيرٌ مـا مكثـتَ مُـؤمَّرُ

فبـت غريـر العـين أعطيـت حاجـتي ** أقبـل فـأها فـي الخـلاء فـأكثر

ثم يعاتب الليل لانه انقضى باسرع مما كان يتوقع وكان يرجو طوله حتي تطول معه مدة متعته ووقت لهوه في ذلك الخدر الذي لم يكدّره عليهم واشٍ ولم يعكر صفوه عليهم رقيب مع حبيب تفوح من ثغره روائح المسك الزكية من بين اسنان مفلجة هي اقرب ما تكون في بياضها وصفاء لونها الي البرد او زهر الاقحوان الابيض في مرحلة النَوّار كما ان عيونها اشبه في جمالها وسوادها بعيون الجوذر وهو ولد البقرة الوحشية ٠

فيالـك مـن ليـلٍ تقاصـر طولـه ** ومـا كـان لـيلى قـبل ذلـك يقصـر

ويالـك مـن ملهـىً هنـاك ومجلـسٍ ** لنـا لـم يكـدره علـينا مكـدِّر

يمـجّ ذكـيّ المسـك منـها مفـلّجٌ[٧] ** رقيـق الحواشـي ذو غـروب[٨] مؤشـر

تـراه إذا تفـتَّر عـنه[٩] كأنـه ** حصـى بـردٍ أو أقحـوانٍ مـنوِّر

وترنـو بعيـنيها الـيّ كـما رنـا ** إلـى ربـربٍ[١]وسـط الخمليـة جـوذر[٢]

---

[2] أريتك : أي قل لي وأخبرني أصلها أرأيتك .

[3] أفرخ روعها : هدأت نفسها .

[5] أبا الخطاب : كنية عمر بن أبي ربيعة .

[6] غير مدافع : غير منازع .

[4] كلاك : رعاك وحفظك .

[7] مفلّج : ثغر متباعد الأسنان وكانت العرب تعد هذا من جمال المرأة .

[9] تفتر عنه : تبتسم .

[8] ذو غروب : أي ممتلئ بالرحيق والرضاب . ومؤشر أي أسنانه مخرذة خلقة أو صنعة .

[١] الربرب : القطيع من بقر الوحش .

[٢] الجوزر : ولد البقرة الوحشية ، كانت العرب تشبه النساء به لجمال عينيه .

وبينما شاعرنا علي هذه الحال اذا بصوت المنادي ينادي طالباً الرحيل مع غياب آخر نجوم الليل فاشارت له بأن اهلها قد استيقظوا هبو من نومهم فعليه بالرحيل علي ان يكون لقائهم التالي في موقع عزور وهو جبل بين مكة والمدينة وعليه ان يلتمس طريقه خارج الحي دون ان يراه احد خوفاً من الفضيحة فيعز علي الشاعر ان يتسلل تسلل اللص ، ويهرب هروب الجبان فيشير اليها بمقارعتهم فترفض ايثاراً للستر واتقاءً للفضيحة .

فلما تقضّي الليل إلا أقلّه ** وكادت توالى نجة [٣] تتغور [٤]

أشارت بأن الحيّ قد حان منهمو ** هبوب ولكن موعدٌ لك " عزْور" [٥]

فما راعني إلا منادٍ : (ترحلوا) ** وقد لاح مفتوقٌ [٦]من الصبح أشقر

فلما رات من قد تنبه منهمو ** وأيقاظهم قالت : أشر كيف تامر

فقلت أباديهم [٧] فإما أفوتهم ** وإما ينال السيف ثاراً فيثأر

فقالت أتحقيقاً لما قال كاشحٌ [٨] ** علينا وتصديقا لما كان يؤثر

فان كان مالابد منه فغيره ** من الأمر أدنى للخفاء واستر

وتشير إليه بكيفية الخلاص من هذا المأذق بأن تقص علي اختيها حقيقة الامر فلا يضيره علمهما في آخرة لعل الفرج يكون بين يديهما فكان ما ارادت فهونتا عليها الامر والتمستا لها العزاء ثم اشارتا اليه بلبث الرداء والقميص والتنكر في هيئة فتاة تخرج معهما فلا يفشو سره .

أقص على أختي بدء حديثنا ** ومالى من ان تعلما متأخِّر

لعلهما إن تطلبا لك مخرجاً ** وان ترحبا صدراً بما كنت احصر

فقامت كئيبا ليس فى وجهها دمً ** من الحزن تزري عبرةً تتحدر

فقامت اليهما حرتان عليهما ** كساءان من خزٍّ : دمقسٍ واخضر

فقالت لأختيها أعينا على فتىً ** اتى زائراً والأمر للأمر يقدر

---

(7) أباديهم : أبدو وأتصدى لهم .

(8) الكاشح : العدو المبغض .

(٣) توالي نجمه : أي نجومه المتبقية .

(٤) تتغور : تغيب .

(٥) عزور : اسم جبل بين مكة والمدينة .

(٦) مفتوق : أي منشق والمقصود نور الصباح .

فأقبلـــــتا ،فارتاعـــــتا ثـــم قــــالتا ** أقلّـــى عليــك اللَّـــوم فالخـــطب أيســـر
فقالـت لهـا الصـغرى سـأعطيه مطرفـى[١] ** ودرعـي[٢] وهـذا البُـرْدٌ[٣] إن كـان يحـزر
يقـــــوم فيـــــمشى بيـــــنا متنكـــــرا ** فـــلا ســــرنا يفشـــو ولا هـــو يظهـــر

فلما جاء الفرج واصبح خارج مضارب اهلهن اخذن يعاتبنه علي تهوره ويلمنه علي عدم مبالاته ويطلبن منه انه اذا قدم اليهم مرة اخري ان يشيح بنظره بعيداً حتي يصرف عنهم الوشاة ٠

فكان مِجنِّى[٤] دون من كنت اتقى ** ثلاث شخوص : كاعبان[٥] ومعصر[٦]
فلما اجزنا ساحة الحي قلن لي ** ألم تتق الأعداء والليل مقمر
وقلنا :أهذا دأبك[٧]الدهر سادراً [٨]؟ ** أما تستحي ام ترعوي أم تفكر
إذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا[٩] ** لكي يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

وقد تفوق عمر بن أبى ربيعه على شاعرنا في أسلوب سرده للقصة ، وذلك لأنه جعل لها حبكة عندها تبلغ القصة قمتها ، وتستحكم عقدتها ، وهى كيفية الخلاص عند إكتشاف أمره وذلك لأن عمر بن أبي ربيعة قصر شِعره على الغزل عامة ، والأسلوب القصصي بشكل خاص . ومجمل الحديث في هذا الفصل هو أن العباسي قد تأثر بكثير من الشعراء الذين كانوا ينشدون الجزالة في شعرهم ويتمثلونها في أدبهم مثل البارودي والشريف الرضي وشوقي والفرزدق وابي العتاهية وعمر بن أبي ربيعية والمتنبئ و أمرئ القيس وغيرهم وذلك إنما يدل على سعة إطلاع شاعرنا ، وعظم ثقافته ، وللثقافة أثر كبير على الشعر لأنها تساعد الشاعر في تجاربه الفنية باطلاعه على تجارب الغير ،فيجد مجالاً أوسع للخلق والإبداع .

---

[1]المطرف : رداء من خذ .
[2]درع : قميص المرأة.
[3] البرد : ثوب مخطط .
[4]مجني : ترسي .
[7] دأبك : عادتك .
[8] سادراً : منصرفاً إلى الغواية غير مبالٍ
[9] امنح طرف عينيك غيرنا : أي أنظر إلى سوانا وغيرنا .
[5]الكاعبان : معنى كاعب وهي الفتاة في أول البلوغ .
[6]المعصر المرأة الناضجة

المبحث الثاني

القيم والمثل في شعر العباسي

كان شاعرنا يرى في نفسه رسولاً كذبه قومه وصاحب رسالةٍ لم يصدقه فيها أهله وأهلٌ لقدرٍ ومنزلةٍ لم ينصفه منها الزمان ولم تمهله فيها الأحداث المتلاحقة التي صرعها وصرعته ولكن لم تلِن لها قناتة أبداً ، كان يحس بقدر كبير من التميز على من حوله ولا شك أن تاريخ أجداده وعراقة بيته الديني والسياسي الى جانب ثقافته وأدبه يعمقان فيه هذا الشعور ، ويرى أن سيرة أجداده تحتم عليه أن يحيا ساعياً الى المجد والعليا دوماً فيقول في قصيدته (عهد جيرون) [١] .

منيت نفسي آمالاً يماطلني ** بها زماني من حينٍ إلى حين
القى بصبري جسام الحادثات ولي ** عزمٌ أصد به ما قد يلاقيني
ولا أتوق لحالٍ لا تلائمها ** حالي ولا منزل اللذات يلهيني
ولست أرضى من الدنيا وإن عظُمت ** إلا الذي بجميل الذكر يرضيني
وكيف أقبل اسباب الهوان ولي ** آباء صدقٍ من الغرِّ الميامين
النازلين على حكم العلا أبداً ** من زيّنوا الكون منهم أيّ تزيين
من كل أروعٍ في أكتاده لَبَدٌ ** كالليثِ والليثُ لا يقضي على هون

فإذا نظر شاعرنا الى نفسه وجد أن بها من الخصال ما يدعوه للفخار فيحمد الله على ما أجزل عليه من الشجاعة والعلم والأدب وغيرها فيقول [٢] :

وكم نعمةٍ لله عندي عظيمة ** حطمت بها أنف المساجل لي حطما
فلا أمنع المولى ولا ذا قرابتي ** ولا الطارق المعتّر معروفي الجمّا
وان ذكروا حر القوافي فإنني ** حرِّي بابراز المحبّرة العصْما
إذا أنشدت في محفل الفضل عدها ** لحسن معانيها لسامعها غُنْما
وان سلمت لي من خصالي أربع ** وقلب جري يأنف الذل والضيما
يدى ولساني والفؤاد الذي به ** أطول وعرض ليس يرضي لي الزما
خذوا أو دعوا يا قوم كلَّ فضيلة ** فإني أراني عدت بالغرض الاسمى

---

[1] ديوان العباسي – الدار السودانية للكتب – الطبعة الثالثة – ص (١٠٤) .

[2] المرجع السابق ص (١٨٥) .

ويتأمل الشاعر نتاجه الأدبي فيرى أنه جديرٌ بالحسد وذلك لقوة بيانه ورصانة اسلوبه وسهولة عبارته ووضوح معانيه فيشبِه بيانه بلؤلو البحرين في نظمه فيقول في قصيدته (النهود)[٣] :

محيياً صديقه خلف الله خالد :

لما رأيتـك قد أقرضتني حسناً ** يروى وواليت من برّي وتمجيدي

حملت من لؤلؤ البحرين في كلمى ** إليك أنفس منـثورٍ ومنضـود

لا تسـقيني بكأس المادحين فهم ** روّاد مرحـمةٍ عبّادِ مقصود

وأن أكن غير محسود الحظوظ ففي ** البـيان أرانـي جـدُّ محسود

أنا الغني بما غيـري الفقـير له ** لم يخبُ يوماً ضيا عزمِي ومعقودي

فكيف إن ذكروا الإمـلاق احزره ** إن صـحَّ بالله إيماني وتوحيدي

فهاك مني ولا مَنٌ علـيك حُليَ ** لم تَخْلُ من فضل تهزيب وتجويد

خبرتها لك في حال السرى فغدت ** وهي السليمة من حشـو وتعقيد

وفي قصيدة يوم التعليم يرى أنه جديرً بأن يكون حادي أمته نحو العلا وقائداً لها صوب المجد وبوصله تحدد لهم إتجاه المآثر والمكرمات والمعلِّم الذي يغرس في تلامذته من أبناء جيله بذور الوحدة الوطنية ويُبصّرهم بفوائدها الجمَّه ويحررهم من التفرقة وما تجره عليهم من ويلات هم أولى بالبعد عنها لما كابدوه منها في زمن الإستعمار وداعيه لهم بأن ينهلوا من معين الحضارة دون التخلي عن عاداتنا وتقاليدنا السمحة الأصيلة التي يجب تنشئة أبنائنا عليها ويحذر قومه من مفهوم القومية الذي يرى أنها كلمة حقٍ أريد بها باطل وينكر دعوة الإنفصال عن مصر ويحذرهم من الخُدْعة الإستعمارية المنطوية تحت شعار (السودان للسودانيين) الذي أوصى به المستعمر وأملاه .

كما يرى الشاعر نفسه أولى من غيره بأن يكون حادياً لأمته نحو التحرير والاستقلال لأنه مؤهلٌ لذلك بما في نفسه من خلال القائد وتأثير النظم فيقول :

غيري شدا فتعالوا اليوم فاستمعوا ** شعر النواسيَّ من تلحين اسحاقا

شعرٌ هـو الأدب العالي انسقه ** كالدرِّ عقداً وكالخيريَّ [١]أطباقاً

---

[3] المرجع السابق – ص (١٠٢) .

أحبو به كلٌ من رقَّت شمائله ** منكم وبات الى العليا تـواقا

ويبصِّر قومه بأن العلم هو مصدر السعادة وهو الذي يفكُ قيود الجهل حاثاً لهم على تعليم النشء مكارم الأخلاق ليستبينوا سبل الحياة وداعياً لهم لإنفاق المال على أعمال البر والإصلاح فيقول :

العلـم يا قوم ينبوع السعادة ** كم هدى وكم فك أغلالاً وأطواقا

فعلموا النشء علماً يستبين به ** سبل الحياة وقبل العلمِ أخـلاقا

أقسمت لو كان لي مالٌ لكنتُ به ** للصالحات وفعلُ الخير سبّاقا

ولا رضيتُ لكم بالغيث منهمراً ** مني ولا النيل دفّاعاً ودفّاقا

ثم يتحدث عن مزايا العلم وهو الذي بفضله ملكت الشعوب زمام الجوِّ وأعماق البحار وعن طريقه نشرت الحضارة .

ان الشعوب بنور العلـم مؤتلقاً ** سارت وتحـت لواء العلم خفاقا

وطوَّفوا ببقاع الأرض فامتكلوا ** عصيـها وبقاع البحـر اعماقا

فى الشرق والغرب تلقاهم وقد ** بسطوا ظلَّ الحضارة نقَّابين طرَّاقا

وينعي الشاعر على السودانيين التحزب ويحذرهم منه ويصفه بالسم الذى لاترياق له إلا وحده الصف لان البلاد تعانى من الجهل والفقر فلا بد لأهلها من نبذ الخلافات لينهضوا بها . بعد أن تخلفت عن غيرها بسبب هذه الخلافات .

فلو درى القوم بالسودان أين هم ** من الشعوب قضوا حزناً وإشفاقا

جهل وفقر وأحزاب تعيث بـه ** هدّت قوى الصبر إرعاداً وإبراقا

إن التـّحزُب سم فاجعلوا أبداً ** يا قـوم منكم لهذا السم ترياقا

فحـاذروا كـل مشّاء بتفرقةٍ ** يمسـي ويصبح كالغربان نعاقا

ومـارقاً شقيت هذي البلاد به ** أخـافه أن يعيد الناس مراقا

ثم يستنكر دعوة الإنفصاليين القائلين بإنفصال السودان عن مصر إستجابة لشعار طرحه المستعمر وهو(السودان للسودانيين) ويحذرهم من أنها كلمة حق أريد بها

---

(1) الخيري : نوع من أنواع الورد

باطل وأن المستعمر يهدف من ورائها للخديعة والمكر ويطلب من أولئك النفر أن يمحصوا الرأي ولا ينساقوا للمستعمر كالقطيع (١) .

وما تريدون من قوميةٍ هي في ** رأيي السراب على القيعان رقراقا
وما أرادوا يمين الله إذا وضعوا ** جمع الشتات ولا للحقِّ إحقاقا
فمحصوا الرأي لا ترضوا بيانعةٍ ** وإن أصاب هوىً منكم وان راقا
لا تُخدعوا إن في طيَّات ما ابتكروا ** معنىً بغيضاً وتشتيتاً وإرهاقا
ليصبح النـيل أقطاراً موزعةً ** وساكنوا النيـل أشياعاً وأذواقا
لسنا القطيع قطيع الضأن يزجره ** الراعي كما شاء إشاماً وإعراقا
ساقوا لكم كأس خمر نشرها عبِقً ** فهل جهلتم من الساقي وما ساقا ؟

ويجهر العباسي في هذه القصيدة بمذهبه السياسي وهو وحدة وادي النيل ويذكر ذلك الأمر بالرغم منه فلم ترقه السياسة في يوم من الأيام :

إن السياسة في شتى طرائقـها ** ما راقني لونها الزاهي ولا شاقا
باتت سلاحاً لدى الأقوى فأحكمها ** ربْقاً تشد به الضعفى وأغلاقا
إنا بنو النيل لا نرضى به بدلاً ** فما جفانا ولا يوماً بنا ضـاقا
ولا أخص به داري ولا سكنى ** بل ساكني النيلَ تعميماً وإطلاقا
هذا سبيلي وهذا مذهبي بهمـا ** أعطيت ربي والأوطان ميثـاقا

ثم يختم العباسي قصيدته ناصحاً بضم الصفوف حتى يستنير الشعب ويتلمس طرقاته في هذه الحياة الوعرة ويقول :

بني العشيرة لي نصـحٍ ولست به ** مداجياً أتعامى الحق مذاقا
ضُموا الصفوف وضموا العاملين لها ** لكي تنـيروا لهذا الشعب أفاقا

وكان شاعرنا وفياً لابن النيل الذي يريد به أهلنا في مصر وكان يرى له فضلاً على أهلنا في السودان في إنشاء المدارس والمعاهد والمساجد لا يسعه إلا أن يكون وفياً له معترفاً به مثنياً عليه فيقول فيه في قصيدته (آية الفضل) (١)

---

(1) ديوان العباسي – الدار السوداني للكتب – الطبعة الثالثة ١٩٦٨م – ص (٩٠) .

يا فتى النيل يا ابن الحسب الجمِّ ** ويا من ساد الكرام وطالا
قد رفعت (السودان) ذكراً إلى أن ** كاد يمشي في العالمين إختيالاً
لك فى المعهد الذى شدَّ للعلم ** أيادٍ سارت بنا أمثالا
وجميل الى المدارس يسدى ** وهبات فى كل يوم توالى
معهدا حكمةٍ ومثوى علومٍ ** كم عقدنا عليهما آمالا
ليعدَّا الى الشباب حياةً ** ويعيدا الى الحياة رجالا
والمصلون فى اثناء المحاريب ** يَعُجون بالدعاء ابتهالا

وروح الوفاء متأصله فى شاعرنا العباسى فى حنينيه الى بعض من زاملهم في أثناء دراسته بالمدرسة الحربية التى يرى بعض الذين كتبوا عن العباسي أن فيها من تآمر عليه مما عجّل بطلبه للاستعفاء يقول[٢] :

سبحان من لو شاء اعطانى كما ** اعطاهمو واحلنى هذا الذرى
لاريهم واري الزمان اليوم ما ** شأني فكل الصيّد فى جوف الفرا
انى لاذكرهم فيضنيني الأسى ** ومن الحبيب إلىَّ أن أتذكّرا
لم انس أيامي بهم وقد انقضت ** وكأنها والله أحلام الكرى

ثم يخاطب صديقاً عظيما له به علاقةٍ من الموده والاخلاص وله فيه كما لابناء وطنه آمال واسعه وان فيه ما ليس لغيره من الفضائل ويرى ان السياسه تريد ان تجرفه وإن صحّ لا قدر الله فسيكون مصيره مصير من لعبت بهم أهواء السياسة فندموا ولآت حين مندم فيحذره من مغبّة ذلك وينصحه نصيحة العارف المجرّب رغم معرفته بسداد رأيه ورجاحة عقله فيقول [١] :

يا من رعيت وداده وعددته ** درعا إذا جار الزمان ومغفرا[٢]
اسمع نصيحة صادق ما غيرت ** منه الخطوب هوى ولن يتغيرا
لم آت اجهل فضل رايك والحجى ** لكن أتيتك مشفقاً ومذكِّرا
والنصح من شيم الصديق فإن ونى ** عدوه في شرع الوداد مقصرا
عمرى كتابٌ والزمان كقارئ ** أبلي الصحائف منه إلا اسطرا
فعلمت منه فوق ما أنا عالم ** ورأيت من إحداثه ما لا يرى

---

(1) ديوان العباسي – الدار السودانية للكتب – الطبعة الثالثة ١٩٦٨م – ص (٩٣) .

(2) المصدر السابق – ص (٢٨) .

(1) ديوان العباسي – الدار السودانية للكتب – الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص (٢٩) .

(2) المغفر : غطاء الرأس في الحر .

قل لى فديتك مـاالذى ترجوه من ** تاج [٣] وقد البست تاجا ازهرا
وورثت فيما قد ورثت شمـائلا ** كانت ارقَّ من النسيم اذا سرى
اما السمـاح فـلايساجلك امرؤ ** فيه ملكت جمـاحه مستأثرا
فاربأ بنفسك أن تكـون مطيَّه ** للخادعين وللسـياسة معبرا
وحزاري من رسل القطيعة انهم ** رهط قد انتظموا ببابك عسكرا
ما ساقهم حب إليك وإنـما ** حشروا وجئ بهـم لأمر دبرا
ولان تبيت عـلى الطوى وتظله ** وتضم شمل المسلمين وتنصرا
خير ففي التـاريخ أن قلـبته ** عظه لذي نظـر وعى وتدبرا

وكان شاعرنا متمسكاً بالمذهب الذي ينادى للإتحاد مع مصر وقد ذكر ذلك فى كثير من قصائده فلا تكاد تجد فى ديوانه قصيدةٌ تخلو من ذكر ايامه الذاهيه فى مصر أو فضل مصر على السودان او دعوه صريحةٌ الى الاتحاد بين الشقيقين فهو عندما يدعو لذلك يصوغ لك الادله الدامغه لإقناعك بصواب رأيه ، النيل هو الرّباط الطبيعى ، الدين الإسلامي هو الرباط الروحي ، واللغة هي سِمه الوحدة الاجتماعية والفكرية فيقول فى قصيدته (اسمعينا جنان) [٤] مخاطبا دعاه الانفصال :

لا تقولوا إنا قلـيلٌ ولا وسعُ ** فعزم الرجـال وسعٌ وطاقه
وكفانا بالدين عروتنـا الوثقى ** وبالضـاد لحمةً وصداقه
وبهذا النيل المبـارك والنـيل ** جميلٌ من بـره الله سـاقه

وفى شعر العباسي تظهر الكثير من سمات الزهد والورع والتقوى مما يدل على نشأته واعتزازه بتربية والده وتمسكه بما ورثه من تعاليم السمّانيه وإن حنينه الى ايام شبابه ولهوه لسيت هي الأصل فى شعره وإنما الراسخ هو عقيدته القويه وورعه الدائم فهو يقول فى قصيدة (النهود) عند ذكر ايام الشباب:

استـغفر الله لى شوقُ يجدّده ** ذكر الصبا والمغانى أيُّ تجديد
وتلك فضله كأس ما ذممت لها ** طعما عـلى كِبَرِ بُرْحٍ وتأويد

ويقول فى بيتٍ اخرٍ فيها :

فكيف إذا ذكروا الاخلاق احذره ** إن صحَّ بالله إيماني وتوحيدي

---

[3] تاج : ربما يقولون لـه سنعطيك تاجاً وأرى أنـه غنيُ عن مثل هذا التاج لأنـه في قومـه في مرتبـة هي فوق مرتبة التاج فقد كان عند ظني العائد يحمل الكل . ويقرئ الضيف ويأخذ بيد الضعيف ولـه في الأعمال الخيرية اليد الطولى .

[4] ديوان العباسي– الدار السودانية للكتب – الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص (٨٥) .

ويقول فى (عهد جيرون) :

وقد سلا القلب عن سلمى وجارتها ** وربما كنت ادعوه فيعصينى

ما عذر مثلى فى استسلامه لهوىً ** يا حالة النقص ما بي حاجه بيني

وهو رجل يؤمن بالمقادير ويسّلم بالقضاء خيره وشره فى كل سلوكه وانه يتحكم فى أمر الفراق واللقيا فيقول فى اخر قصيدته (ذكرى حبيب)[١] .

متى يأذن المولى ففي ذمة السرى ** وصولي وأيدي العيس[٢]ترقل او تخدى[٣]

وان عادت الايام عدنا الى الذي ** ألفناه من حسن الرعاية والود

وإلا فعند الله يا هند وحده مقادير ** تجرى طالع النحسِ والسعدِ

وهو يدعو الى التامل فى صفحات التاريخ ومرور الأيام لاستلهام العبر واستيحاء العظات فيقول فى قصيدة (عبر الايام) [٤] :

لهفى على الايام اسكن صنعها ** ضبع الفلاة عرين آساد الشرى

بالأمس أردت قيصرا واليوم قد ** ولدت لنا كسرى الملوك وقيصرا

من عاش يقرأ من خلال سطورها ** عبراً وينظر بعدُ ابشعَ منظرا

وهو عندما ما يبحث في فلسفه الوجود عن حقائق الاشياء يعييه التفكير ويجهده التأمل فيخاف الضلال ويحذر الغواية فيدعو الله أن يكشف له الحقائق ليتلمس طريق المعرفة والنجاة

وصولاً لمستقبلٍ باهر فيقول فى قصدته (يا عَلَمْ خُذْ العِلم)[١] والتي نظمها في صديقه أحمد محمد صالح :

نروح ونغدو وراء الحياة ** على بحر أرزائها الذاخر

أُسَارىَ هوىً ولكم غرّنا ** سراب من الأمل الساخر

تشابه فى شأنه المدلجون ** فاصبح ذو الرشد كالحائر

فيا مبدع الكون هيئ لنا ** سبيلاً لمستقبل باهر

---

(1) ديوان العباسي – الدار السودانية للكتب – الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص (١١٦) .

(2) العيس : الرواحل من الإبل التي يركبها المسافرون بالبادية .

(3) الإرقال والوخد : ضربان من سير الإبل .

(4) ديوان العباسي – الدار السودانية للكتب – الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص (١١٧) .

(1) ديوان العباسي – الدار السودانية للكتب – الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص (١٢٢) .

وعندما يمدح صديقه احمد الصاوى **القاضي يرى انه** قد توفرت فيه كل الصفات التى تسوِّد الرجل على قومه فيُسلم بان الله قد قسَّم الحظوظ على الخلق فخصّ من أحبَّ منهم بالصفات الحميدة والخلال الكريمة يقول[٢]

يا حـائزاً قصب العلا ** يا سيـدا ارجـو دوامه

لازلت فى بيت الفضائل ** والمــعالي كالدعـامة

ولقد أقـول وفى الحشا ** مني أسىً يـُذكى ضِرامه

سبحان من قسـم الحظوظ ** فلا عتــاب ولا مـلامه

وشاعرنا قد عرك الدهر وجرّب الحياه فعرف ان القناعه كنز وان الأرزاق بيد الله فيقول فى قصيده (إياك أعنى) [٣]:

لا ادعى علم الغيوب وانما ** عندي لها نظر اللبيب الحاذق

ياطالب الرزق إتئد مستيقناً ** إن الذي سوّاك اكرمُ رازق

ماكان للمخلوق فى ايجادنا ** رأيٌ ولكنّا إبتداع الخالق

وشاعرنا يدّل ويعتُز بشمائله وتميزه عن غيره حتى في شِعرة الذي ينظمه للغزل وخاصة تلك القصائد التى يذكر فيها صدود حبيبته عنه وقطعها لحبل الود فيذكّرها بخلاله وشمائله علها ترّق وتصل حبل الوداد بينها وبينه كعادة عنتر بن شداد ويذكرها كذلك بانه صاحبُ حُجّةٍ وملك بيان قادرً على خطبِ ودها وانتزاعِ حبها . فيقول فى (ذكرى حبيب) محييا حبيبته فى دارة الحمرا [٤]وهو فى قضروف سعد .

وإقسم ياقضروف سعد [٥] لما رمى ** بنا لبنيك الأكرمين هـوى الرِّفد

ولكن أحاديث المنى وهى عـادة ** حسان كحسن الخال فى ناضر الخد

حللت فحلت لي بها كل حبـوةٍ ** ومدّ أمامي برده كـل ذي برد

وكم زارني شرق البلاد وغربـها ** بلا سفـرٍ ينضي الركابَ ولا قصـدِ

شوارد ما سايرتها بتــنوفةٍ[١] ** ولا راعـها كفي بصوتٍ ولا قيـد

---

[2] المرجع السابق – ص (١٧٤) .

[3] المرجع السابق – ص (١٤٢) .

[4] المرجع السابق – ص (١١٣) .

[5] قضروف سعد : بلدة بالقضارف شرق السودان بها أرض خصبة يزرع بها السمسم والغلال بانواعها وتروى بماء الأمطار .

[1] التنوفة : المفازة

من اللائي كم أضحت هوى كلّ مسمعٍ ** وأعزب في الأفواه من باردِ الشهد
أُعاتب أيامي وهنّ فواركٌ[٢] ** أطلنا شقائي في التمنعِ والصّد
وهمٌّ له في القلب جولة سائلٍ ** مريدٍ[٣] وغارات المسوّمةِ الجرْد[٤]
فإن شئتي زوري أو فبيني زميمة ** فما أنا بالوعلِ الجبانِ ولا الوغدِ
فهل يرهب الهيجاء قلبٌ مشبّعٌ ** وهل خُلقتْ إلا لها قضب الهند
وإن تسألي يا زينب إبنة مالكٍ ** فلله ما لاقيت فيك من السّهْدِ
وكم ساجلت[٥] مني الخطوب فما نبأ ** وحَقكِ حدَّ المشرفي ولا حدي
وإن فاتني القومَ ولم أك دونهم ** فذاك قضاءٌ ليس لي عنه من بدِّ
وما تركت لي النائبات بمرّها ** أخاً غير مطوي الضلوعِ على حقدِ
ولا ذنب إلا أنني كنتُ دائماً ** أقارع عن آثار أسلافهم وحدي
فكيف بكم إن حلّ يوم كريهةٍ ** وبان ذوو الآراء والألسن اللدِّ[٦]
وجاءوا بأعلام البيان وجئتمو ** لديهم بكلٍ لا يعيد ولا يبدِ
هناك ترون الحقَ أبلجَ واضحاً ** وأنكموا أفللتمو سنَنَ الرشدِ

وعند شاعرنا العباسي يتخذ شِعرُ الهجاء سمتاً آخر منحرفاً عن السباب والشتم والطعن في أعراض الناس ولعن آبائهم وجدودهم ولكنه هجاء أشبه ما يكون باللّوم لأن ذلك لا يوافق روح شاعرنا الأبية التي تشبعّت بتعاليم الدين وأخلاق الإسلام الحميدة وهو كذلك عتّاب لكل من أخطأ في حق شاعرنا ممزوجاً بالشكوى من الزمان الذي لم ينصفه منهم بل يرى أن الزمان كان يقف في صفهم فكان يعده عدواً له يحتم عليه مقارعته وعدم الاستسلام له حتى رأى الشيب قد ملأ عارضيه فيلين له حيناً وحيناً يعاند فإنظر إلى قوله في قصيدته (ذكرى ايام الشباب) [٧]:

زد عتواً أزدك من حسن صبري ** وأذقني كأس العذاب الأمر
لستُ يا دهر واجداً في شبا عزمي ** فلولاً ولا قلامة ظفر

---

[2] الفَركة : البغضة عامة أو بين الزوجين .

[5] المساجلة : المنازلة والمقارعة .

[3] المريد : العاتي الذي يصعب مراسه

[4] المسومة الجرد : الخيل قصيرة الشعر رقيقته .

[6] اللد : شدة الخصومة .

[7] ديوان العباسي – الدار السودانية للكتب – الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص (٤٧) .

لا تحـاول مني مـراماً بعيداً ** وأرض من شئت بالمذلة غيـري
كم أنـاويه والنـوائب تترى ** دُرُعُ التُّـقى بــها إثر كـدر
إن بيـني وبيـنه أبداً حرباً ** سجـالاً مـا بيـن كرٍ وفـر
ضاق صـدري منه وإن عجيباً ** قول مثلي في حادثٍ : ضاق صدري
ما مقـامي حيث الصحابُ قليلٌ ** وبقـائي بـدار هـونٍ وقـهر
كم تخـلّى بالأمس عنّي حبيبٌ ** وجفاني من كـان موضعُ سري

ثم تراه يصفح عن هذا الزمان وما جناه عليه إذا ظفر منه بما يرضي طموحه ويحقق ذاته ويصدق آماله التي في سبيلها يضحي بنفسه ويبذل دمه وجهده وطاقته رخيصة في سبيل تحقيقها فيقول في : (معاقدي)[١]

سأصفح عن هذا الزمان وما جنيٍ ** متى ظفـرت كفَّاي منـه بمـاجدِ
وإن ألقَهُ بِعتَ الحياةَ رخيصـةً ** وآثرته بإثنـين : سيفي وساعدي
كفى بذباب[٢] السيف خِلاً بأنـه ** لدى الرّوْع أحفى[٣] من خليل مساعد
هو البرء من داء النفوس وربما ** يسل بحـديه سخـيمة [٤]حاقد
ويجدر بالحرّ الكريم إدخـاره ** لإجـلال ذي ود وإذلال حـاسد
فلا سلمت نفس الجبان وباركت ** يد الله في كف الشجاع المجالد

وهو تارةً يرى أنه قد غالب الزمان حتى غلبه وصار طوع أمره ورهين إشارته فعفى عنه وصفح له ما بدر منه وصدر عنه فيقول في قصيدة (رسائل الصفا) التي بعث بها لحضرة الدكتور زكي مبارك وفيها يفخر بأنه كان رائداً للتغيير ومُصحِحاً للمفاهيم دون أناس قبلوا بها كما هي عليه :

كأن الـزمان برغم الزمان ** أضـحى تبيعاً لسلطانيه
وهاتيك ليـلاه بعد الجِماح ** قد عطفت جيـدها ثانية
غفرت له وهـو ذاك العتّي ** فكـم ناشـني بيد عاتية
عـدا فاستباح دروع الكماة ** فلـفّ بهـا رممـاً بالية
وخلى التريك [١]وهـز البواتر ** حبسـاً على العـادة الناعية

---

(1) ديوان العباسي – الدار السودانية للكتب – الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص (٥٥) .

(2) ذباب السيف : طرفه الذي يضرب به .

(3) أحفى : من حفى بمعنى منع : أي أن السيف أشد منعاً لحامله من أن يصاب بأذى .

(4) السخيمة : الضغن .

(1) التريك : الخوذة .

فما بي ظمأ لهذه الكؤوس ** فطوفي بغيري يا ساقية
على نفر ما أرى همهم ** كهمي ولا شأنهم شأنية
طلبت الحياة كما أشتهي ** وهم لبسوها على ما هيه
شروا بالهوان وعيش الأذل ** ما استمرءوا من يد الطاهية
فباتوا يجرون صافي الدمقس ** وبت أجرر أسماليه [٢]

وهو يرى أنه لم يمتع نفسه في الحياة للأحداث المتلاحقة التي مرت عليه ولما أخذ به نفسه من تشدد كحال المتنبي الذي يرى أنه لم يقضِ أربه من هذه الحياة فيقول وهو يذكر أيام شبابه ويتحسّر على إنقضاء أسعد أيام أنسه في بناء مرقش والذي كان يلقى فيه محبوبه ويمني نفسه بعودة تلك الأيام التي مرّت سراعاً ولم يقضِ مأربه منها ويشبع رغبته فيها :

وكيف التذاذي بالآصائل والضحى ** إذا لم يعد ذاك النسيم الذي هبا
ذكرت به وصلاً كأن لم أفز به ** وعيشاً كأني كنت أقطعه وثباً
وفتانة العينين قتالة الهوى ** إذا نفحت شيخاً روائحها شبا
لها بِشرُ الدر الذي قُلدت به ** ولم أر بدراً قبلها قلد الشهبا
فيا شوق ما أبقى ويا لي من نوى ** ويا دمع ما أجرى ويا قلب ما أصبى
لقد لعب البين المشت بها وبي ** وذودني في السير ما ذود الضبّا

ثم يخلص إلى الفخر كعادة شاعرنا العباسي فيقول مفاخراً بنفسه أولاً ثم بسيف الدولة ثانياً :

ومن تكن الأسد الضوراي جدوده ** يكن ليله صبحاً ومطمه غصبا
ولست أبالي بعد إدراكي العلا ** أكان تراثاً ما تناولت أم كسبا
فرب غلامٍ علم المجد نفسه ** كتعليم سيف الدولة الدولة الضربا
إذ الدولة إستكفت به في ملمة ** كفاها فكان السيف و الكف والقلبا[٣]

والعباسي يرى أن تقدم السن وبلوغ الخمسين من العمر خليق بكسوة الرجل ثوب الوقّار ورداء الزهد فيقول في (عهد جيرون) :

ما أنسى لا أنسَ إذ جاءت تعاتبني ** فتانة اللحظ ذات الحاجب النوني
يا بنت عشرين والأيام مقبلةُ ** ماذا تريدين من موعود خمسين

---

[2] السمل : الخلق من الثياب .

[3] ديوان المتنبئ شرح أبي البقاء العكبري جزء ١ – ٢ (ص ٥٧ – ٦٠) .

قد كان لي قبل هذا اليوم فيك هوىً ** أطيعـه وحديث ذو أفانين[١]

وعندما يريد شاعرنا هجاء أبناء عمومته الذين نازعوه على زعامة السجادة السمانية تردعه عن ذلك صلة رحم يحفظ ودها ويفخر بالإنتساب لها فيعاتبهم عتاب من يحس بظلم ذوي القربى ويفخر عليهم بتميزه عنهم وتفوقه عليهم في كل ما يحمد به المرء ويتهمهم بحسدهم له على هذه المحامد والمكرمات التي تؤهله للزعامة عليهم فيقول في قصيدة (وادي الربدة) التي يتجاهل فيها شاعرنا أعداءه الذين طويت دخيلتهم علي حقد دفين استهتاراً بهم لعجزهم عن النيل منه ومقدرته علي ذلك.

مالي وللعـاجز يطـوي ** عـن حشـاً تضرمـا
يزجر لي كلّ غــداةٍ ** طيـر نـحس أشأمـا
لما رأي أنـي وطئـت ** منــه أنفـاً مرغمـا
وأنـه مـن مخلـبي ** لولا الـتقى مـا سلمـا
ومن يرى التنكيل بــي ** فخـراً لـه ومغنمـا

ويقول انهم قد جانبوا الحق بمعاداتهم له وحقدهم عليه لانه ليس من من يعادي لطيب نفسه وكرم خلقه ولعدم قدرتهم علي الوصول له لانه في منزلةٍ تطيش دونها سهامهم ولا يرتقون اليها ولو بالسلالم ويستنكر عليهم ان يردي الضبع الاسد لانه راسخٌ كرسوخٍ رِضوي ويلملم وهي جبالٌ في المدينه ومكه علي التوالي فيقول [٢]:–

أخطأت فـي التعـبير ** إذ قلـت بمن و الحق مـا
في الـدهر مـن صروفه ** معلـم لـو علمـا
زرعت لكن سوف تجـني ** مـا حييـت الندمـا
هـل لك أن تخـبرني ** أين تركـت الشممـا
ألا ترى فضل الــنزالِ ** مستميتـاً معلمـا
تنشـق غير حـافلِ ** فيــه الغبـار أقتما
جـاء به يريـد بـي ** سوءاً علـــى ما زعما
توســم وربــما ** أخطـأ مـن توسمـا

---

(1) ديوان العباسي – الدار السودانية للكتب – الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص (١٠٤) .

(2) المرجع السابق – ص (١٢٧) .

فما أزاح كنده ** رضوى[1] ولا يلملما[2]

وما أراه واجداً ** نحو السماء سلما

متى رأيتم ضبعاً ** يا قوم أردى ضيغما

ثم يزكرهم بعبر التاريخ متمثلةً في عادٍ وجرهم الذين افناهم المولي عز وجل لطغيانهم وجبروتهم واهلكهم وجعل كيدهم في نحرهم ودارت الدوائر علي الباغي ثم يعود للفخر بنفسه الابيه التي لا تقبل الضيم ولا ترضي الهوان ويهجوهم باسلوبٍ هو اقرب الي العتابِ لانه يحفظ لهم صلة القرابه ثم يفخر عليهم بعلمه وخلقه وادبه ومنطقه الذي يحتم عليه الارتقاء الي المكرمات والترفع عن الدنايا فيقول:-

أهلك عاداً قبل ذا ** بغى وأفنى جرهما

أبرمتما شراً فرد ** م الله ما أبرمتما

إني أخاف الله في ** هجوكما والرحما

لولاهما هتكت بالتق ** ريع من ستريكما

أصوغ منه كلما يرى ** وأروي كلما

أترك كل من حدا ** بالركب يحدو بكما

لأنني أرماكمو ** نبلاً وأهدا منكما

ذا منطقي الفصل وكم ** قد صغت منه حكما

وهو إذا إستنطقته ** عن الضروري وجما

وإن نهضت مسرعاً ** نحو المعالي جثما

أو بعثه الخلود في الدنيا ** ببذل أحجما

هل أنت عيسى الروح ** جئت اليوم تحيي الرمما[3]

لا در دري إن رفع ** ت للدنايا قدما

ما أرخص الحياة إلا ** واستمرأت عنه العلقما

ما ذاك إلا أنني ** أبيت إلا كرما

---

[1] رضوى : جبل بالمدينة .

[2] يلملم : جبل في مكة وهو ميقات أهل اليمن .

[3] الرمما : الموتى .

ثم يعاتب الزمان الذي لم ينصفه بتحقيق مآربه وتلبية حاجاته وحال دون تحقيق غاياته ثم يختم قصيدته بالتسليم والخنوع لحكم القدر وقضاء الزمان ويحمد الله علي حاله في كلٍ:

ولولا زمان عاق من ** سعيي لكنت العلما

هذا وكم تبدي الليالي ** خلقاً مزمما

كم قدّمت مؤخراً ** وأخّرت مُقدّماً

لكن أقول الحمد ** للّه على ما أنعما

ويقول في قصيدة (آلام وآمال)[1] معاتباً من تنكروا له ولفضائله عليهم وبدلوا هدايته ونصحه لهم بالضلال ومنحوا ودادهم لغيره رقم قرابته منهم وأحقيته بهذا الود من سواه :

ما أعجب الأيام كم دفعت بنا ** في ذي الحياة لشدة ومضيق

أنا في زمان عشت فيه بمعشرٍ ** يُجزىَ الجميل لديهم بعقوق

مالوا إلى رأي الغوي [2]فمزقوا ** شمل التآلف أيما تمزيق

منحوه صفو ودادهم دوني على ** ما بيننا من ميزةٍ وفروق

طرحوا المهند للعصا واستبدلوا ** بالأمس تغريدي لهم بنعيق

يا رائد الأقوام ويحك فاستمع ** قول الحزامة[3] لا مقال الموق[4]

هلا برزت إذا الحوادث جمةً ** ولقد دعوك لها دعاء غريق

باتوا بها ضعفى وبت بنجوةٍ ** طرباً لمضطرب الوشاح رشيق

ألهاك من داعي الفضيلة دعوة الساقي ** وصوت من فمٍ الإبريق

ما أنت يا هذا بأول جاهل ** يختال بين قميصه المخروق

وظللت تعبث في تراث أبيهم ** عبث الجناة بنائل مسروق

لو يعلمون لكان حظك في الكرا ** ترديد آهاتٍ و طول شهيق

دع أسهمي اللائي بريت نصالها ** يا سعد من رأيي ومن منطوق

---

[1] ديوان العباسي – الدار السودانية للكتب – الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص (١٣٨) .

[2] الغوي : الضال .

[3]الحزامةو الحزم : ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة .

[4] الموق : الحمق مع الغباوة .

وأنثر كنانتك التي أعددتها ** وأبن لنا كيف إتخاذ الفوق[٥]
وأرح فؤاد من إصطفوك لحليةٍ ** إن كنت بالتبريز جدّ خليق
سبق الكرام وقد جروا نحو العلا ** وشُغلت بالإعياء و التعريق
خدعتك نفسك ما الكمال بهينٍ ** ماذا دعاك إلى اقتحام النيق
لا أكفر الرحمن نعمته فلي ** فضل بفضل لساني المفتوق
وعجائب العزم الفتي وإنه ** في نائبات الدهر خير رفيق
ما لي أخوّف بالعباد وإنما ** أمري إلى الخلاق لا المخلوق
ما دمت سباقاً فليس بضائري ** أبداً مقال مدفع مسبوق

وانظر إليه يتمثل بأخلاق المقنع الكندي في صلته لرحمه ووده لقرابته رغم كيدهم له وحقدهم عليه يحدوه في ذلك أسلاف كرام لا ينكر فضلهم عليه وإحسانهم له ولولا ذلك أي صلة الرحم لكان له معهم شأن آخر كفيل بردعهم وجدير بصرعهم فيقول في قصيدة (بنو أبي) :-

وللدهر حكم لا يرد قضائه ** فمن ذا الذي ان شاء رد له حكما
فقد شاء ان ابقى بقومٍ افيدهم ** ودادي وأجزيهم على جهلهم حلما
إذا قمت ابني في حماهم معاقلاً ** من المجد راحوا يسرعون لها هدما

فيستهل القصيده بالتسليم لقضاء الله وقدره كعادة معظم قصائده ، ذلك القدر الذي حتّم عليه ان يقيم في قوم يضمرون له الحقد والشر ويريد لهم الخير ويقابل جهلهم بالحلم وكراهيتهم له بالصفووالوداد وسعيه لبناء المعاقل التي تخلد مجدهم فيحملون المعاول لهدم هذا الصرح .

فلله كم لي فيهم من صنائعٍ ** جسامٍ وكم حمّلت نفسي بهم هما [١]
أناضل عن احسابهم في مشاهدٍ ** يكلفني فيها طِلابُ العلا غرما
وان ماراوا من حادثِ الدهر أسهماً ** بمرمى تمنوا انني ذلك المرمى
على ان أحشائي تذوب عليهم ** حناناً وحتى كدْتُ أقضي لهم غمّاً
وما نغموا مني ذنوباً جنيتّها ** عليهم ولا عاراً ولا إثما

وهو يعدد افضاله عليهم وحمله لهمومهم ومشاركتهم الامهم ودفاعه عن احسابهم في مواطن تكلفه كثيراً من الجهد والمشقه والخصومه ورغم ذلك فهم يتمنون اذا رأوا من

---

[5] الفوق : موضع الوتر من السهم .

[1] ديوان العباسي – الدار السودانية للكتب – الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص (١٥٦) .

الدهر فاجعة ان اكون انا المصاب علي اني احمل لهم في دواخلي حباً كبيراً وحناناً عظيماً حتي كاد ان يقضي علي من مصابهم وهم يحملون كل تلك الاحقاد ويكنون لي كل الكراهية دون ما ذنبٍ جنيته عليهم او اثمٍ ارتكبته في حقهم ٠

عزرتهم إذا أن شأني وشأنهم ** لضدان ما من أبصر الأمر كالأعمى
ولو شئت ان اجزيهم عن صنيعهم ** شغلتهم عني بداهيةٍ دهما
وإذنتهم مني بحربٍ مُعَجِلٍ ** ما كنت بالمختار قبل الجزا سلماً
ولكن ثناني عهد ربّ أخافه ** وحفظي فيهم ذلك السيد القرما

وهو هنا يلتمس لهم العزر في كل ما بدر منهم ويُعزي سلوكهم تجاهه الي اختلاف الطبائع بينهم وتباين الاخلاق التي بصرته بامور كثيرة تعاموا عنها وليس ذلك لجبنٍ منه فهو انشاء مجازاتهم بالمثل لامكنه ذلك وحاربهم محاربة من لم يكن امامه خيارُ الا الحرب ولكنه يحفظ فيهم قرابةٍ له ويرعي فيهم رحماً هو اشد مايكون حرصاً عليهم ، كذلك عهده لربه ان لا يخاصم ولا يعادِي ولا يحقْد ٠

سأصرف وجهي عنهم وعزائمي ** إلى نفرٍ غيرهم رضيتهم قوما[1]
قرابة آدابٍ وإخوان حرفةٍ ** أصبت بهم من كل عارفةٍ سهما
كرام إذا ما جئت قلت محاسن الورى ** قد نظمت في سلك أخلاقهم نظما
هم القوم إن أدع إستجابوا وأن أرد معيناً ** أعانوا إن زماني بي هما

تراه يعزي نفسه عنهم بإنصرافه تلقاء نفرٍ من المصريين في الجيش الانجليزي المصري في السودان ، كان قد تعرّف بهم إبان دراسته بالمدرسة الحربية بمصر توطدت علاقته بهم حتي عدهم من خاصته القلة جمع بينهم حب الادب وتقارب الطباع حتي اتخذهم قوماً له يستعيض بهم عن قومه الذين يضمرون له الحقد والبغضاء ويستعين بهم علي زمانه الذي جار عليه كثيراً ٠

ودعني من ذكر القرابة إنني ** خبير إذا ما إغترّ غيري بالإسما
تصرفت في حالاتها ووجوهها ** فأخلقتها لبساً وأفنيتها علماً
فما الخال إلا من خلا لك قلبه ** وما العم إلا من بإحسانه عما

وهو يكفر بالقرابة وصلة الرحم لا مكابرةً منه ولكن عن تجربة وواقع عايشه لبسه رداءً حتي اختلق وتمزق علي جسمه وتصرف في حالاتها حتي قتلها بحثاً فما الخال

---

[1] ديوان العباسي – الدار السودانية للكتب – الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص (١٥٧) .

الا الذي يخلو لك قلبه من الاحقاد والضغائن وما العم الا من يعمّك بفضله وإحسان .

وكائنٍ رأينا من أخ قلّ خيرهُ ** بطيء عن الجلّي كأن به سقما
ضعيف ليل الفهم أكثر همه ** وأكبره أن لا يجوع ولا يظمأ
وإن خفّ قومٌ للمعالي رأيته ** يجوس خلال الدور للشادن الألمى
وقد عابني من لا يقوم بمشهدي ** وليس له مثلي الغداه حمىً يحمى
ومن لو هوى نحوي بكل عزيمةٍ ** وفي كفه الصمصامة [٢]العُضْب ما
وجاء بأموال التعاويذ والرُّقي ** أدمى
يعد بها فخراً عليّ وما درى ** وأشياء أخرى لا أرى ذكرها حزما
وما لآة قومٍ عن الحقِ في عمىً ** بأني أرى أمثال أمواله عُدْما
قلوبهم غُلف وآذآنهم صمّا

ذيلتفت الشاعر الي عدو له بعينه فيصفه بقله الفهم وان مايهمه الاكل والشراب والجري وراء الحسان دون اعتبار للمعالي ويقول انه قد عابه رغم انه دون منزلته وانه لايستطيع النيل منه حتي ولو ضربه بالسيف فإنه لا يدمي لصموده وضعف ضربته ويذكر انه قد جاء بأموال التعاويز والرقي ليفخر عليه بكثرة ماله الذي جمعه من مريديه وهو لايعده شيئ لانه لا علم له مما اورده الضلال ومجانبة الحق مما يدل علي ان هذا العدو هو احد ابناء عمومته الذين آلت اليهم زعامة السجادة السمانية وتراه يتمثل في هذه الابيات بأخلاق المقنع الكندي الذي يقول :

إن الذي بيني وبين بني أبي ** وبين بني عمي لمختلف جدا
فإن اكلوا لحمي وفرت لحومهم ** وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم ** وإن هم هووا غيبي هويت لهم رشدا
وإن زجروا طيراً بنحس تمر بي ** زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم ** وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جل ما لي ان تتابع لي غنىً ** وإن قل ما لي لم أكلفهم رفدا
وليسوا الى نصري سراعاً وان هم ** دعوني إلى نصرٍ أتيتهم شدا
وإني لعبد الضيف مادام نازلاً ** وما لي من شيمةٍ غيرها تشبه العبدا

---

[2] الصمصامة : السيف أصله سيف معدي كرب الزبيدي يطلق الآن على كرام الرجال ذوي العزيمة والإباء

وشاعرنا العباسي لا ينفعل بتجاربه الذاتية فقط ولا بقضايانا الوطنية فحسب بل يتعداها الى الشعور القومي الذي يشمل العربي والإسلامي فيتجاوب مع الكفاح الليبي ضد الإستعمار الإيطالي فيقول في قصيدته (الطرابلسية) منتهجاً اسلوب ابي فراس الحمداني في قصيدته (أرك عصي الدمع)[١] والتي مطلعها :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر ** اما للهوي نهيُ عليك ولا امـر

والتي يصور لنا فيها قصة اسره علي ايدي الروم وهو يدافع عن حدود دولة بني حمدان في حلب ، ثم متبعاً اسلوب ابي تمام في وصفه لواقعة عمورية مشيداً بشجاعة الخليفة المعتصم والتي يستهلها بقوله [٢]:-

السيف اصدق إنباءً من الكتب ** في حدِّه الحدّ بين الجدّ واللّعب

فيقول ان اكثر ما يفاخر به المرء هو مصابرته علي شدائد الحرب ، وان السيف هو الذي يفرج هموم المرء عندما يضيق بها صبره ، وان الرجولة والشهامة والنخوة في دفع الاذي ورد العدوان عن النفس والمال والعرض فيخاطب الشعب الليبي بقوله :-

مكانكمو أن الفخار هو الصبر إذا ضاق ** إذا اشتبكت بيض الظبا والقنا السمر
ذرع المرء مما ينوبه ** فليس لـه إلا المهندّة البتْرُ
فما رجل الدنيا سوى من يعيرها ** لنجـدته إن مسه حادث نكر

ثم يهيب بالمسلمين والعرب للذود عن حياض الإسلام وحمي العروبة ضد الإستعمار الذي أباح حرماتهم واستبى حريمهم ويوضح لهم أيدلوجية الاستعمار في إحتلال أرضهم دونما ذنب جنوه لان الحقد كامنٌ في صدورهم ولا سبيل الي الخلاص الا بتحكيم السيف

---

[1] ديوان أبي فراس الحمداني – تقديم عبد القادر محمد سابو – دار القلم بيروت – الطبعة الأولى – سوريا .
[2] شرح ديوان أبي تمام – ضبطه وشرحه الأديب شاهين عطية – دار الكتب العلمية بيروت– الطبعة الأولى– ص (١٧)

وإعداد العدة لمجابهته فيقول [١]:-

ألا يا بـني الإسلام هذا حماكم ** وهذا نور الحق في ضوئه فاسروا
ولا تدعـوا في العود لينا لغامز ** كثير الـرزايا في سبيل العلا نزر
فإني أرى الأيـام تبدو كأنما ** لها فيكم في كـل شارقة وَتْرُ[٢]
أبيح حماكم واستبيـت حريمكم وأقوت ديار الحق وأستبدل البشر
ولا بد أن لم تجعلوا السيف حاكماً تفور بكم في كـل أونـةٍ قدر
يروم بنو روما طرابلـسا وقد غزوها بجيشٍ ضاق ذرعاً به القفر
على غير ما ذنـب جنيتم وإنما نفوس لهم أضـحى سجيتّها الغدر

ثم انبرى لوصف المعركة على طريقة أبي تمام في واقعة عمورية والتي أحبط فيها سعي المستعمر الذي غرّته قوته التي جرته إلى الظن بأن الاستيلاء على طرابلس أيسر ما يكون له فلقي من أهلها صبر وجلدُ وعزيمةٌ زحزحت أقدامهم ودحضت مزاعمهم رغم ما اعدوه من عدة وما جهزوه من عتادٍ فيقول :

أثـاروا وغىً دارت رحاها عليهم ** وراموا بـها فخـراً ففاتهم الفخر
أعدوا لـها من عدة الحرب كلما ** يضيق به التعداد والبّر والبحر
وقد جهلوا نصـرُ الإله لدينهِ ** وما علموا أن الهـلال هو البدر
وقد زعموا ان سوف ينجح سعيهم ** ولكنه زعم الأخـاريف والهزْر
وكم غرّهم طـول الأناة وحلمهم ** وكم أضمروا شراً فحاق بهم شر

ثم انتقل من الحديث عن ثقتهم المفرطـة في النصر وقناعتهم التامة بالغلبه بالاستناد الـي نبوءات المنجمّين وتخمين العُرّاف الـي وصف اثار الهزيمـة وخيبـة الامل وفعل ذلك الانتصار في نفوس الشعب الليبي من بسمةٍ في الشفاه وتهللٍ في الاسارير وانشراحٍ في الصدور وثقة بالنفس لانهم ابادوا العدو وردوا الطامع واطعموا بقاياهُ للنسور الجائعة حتـي اصبح عبرةً لمن تسول له نفسه بالاعتداء علي حقوقهم والعبث بمعتقداتهم .

فلما رأوا ما لم يكـن في حسابهم ** وخانـهم فيها التجـلّد والصـبر
وزحزحت الأقدام منـهم تزرعوا ** بأقـوال زور لا يبـررها عزر
أبيدوا فكانوا عبرة النـاس بعدهم ** وحـلَّق في آثـار موتاهم النسر
وقد كان ذاك الثغر أسـود عابساً ** فـلاح بريق النـحر وابتسم الثقر

---

[١] ديوان العباسي – الدار السودانية للكتب – الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص (١٤٩) .
[٢] الوَتر بفتح الواو الثأر .

ثم يخاطب الطليان[١] شماتة فيهم ونكايةً بهم وسخريةً منهم مشيداً بإستبسال الشعب الليبي في رد العدوان وزعزعة ثقته وزحزحة اقدامه ، ويُذكّر المستعمر بِعبر التاريخ من هزيمة الطغاة وانكسار الجبابرة ، تلك العبر التي لو تدبرها لما اورد نفسه هذه المهالك ولاغناها عن تلك المهاوي ٠

خذوها بني الطليان بكراً فإنها ** لعمركمو في بابها الفتكةِ البِكْر
ألا أن حزب الله قد قدّم القرى ** لديكم فإن شئتم فمن مثله فاقروا
كأنكم عن حالهم في جهالةٍ ** تموج بكم أو سدّ آذانكم وقر
فلقد فلقوا بالمشرفية [٢] هامكم ** وحلّى بعقد الموت نحركم النحر
وجلوكم عن ساحة الحرب غدوة ** بطعنٍ دراكٍ ضاق من هولهِ الصدْر
وكم قبلكم سادوا الورى بوقائع ** أبيد بها من قبلكم عسكر مُجِر[٣]
وقائع قد زانت صحائف ذكرهم ** كما زان جيد الكاعب العاطل الشذر[٤]
وقد حقق الله المنى فأبادكم ** فهاجت بكم ريح وماج بكم بحر
ألا فاشربوا كأس الجهالةِ مُترعاً ** على نغم أوتاره الغي والخسر
وإن تجهلوا ما كان من سوء حالكم ** تعالوا فعندي من مصابكم خبر
هو المركب الصعب الذي تركبونه ** وإن شئتم فهو التعسُفِ والجور
وكم ساقكم نحو المهاوي إغتراركم ** وكم قبلكم ذاق الندامة مغتّر

ثم يتساءل مستنكراً اثر الهزيمة علي وجه قائد الروم تلك الهزيمة التي ذهبت بنضارةِ وجهه ولون بشرته حتي اصبح كمن هجره حبيبه ثم يشبه طرابلس بالعروس الجميلة التي جاء قائد الروم لخطبتها مامتنعت عليه واعرضت عنه وعندما حاول اخذِها عنوةً حال بينه رجالُ صانوا عفافِها ولم يبالوا لكثرة عددكم وهم يتشوقون للطِعان بقدر ما تخافونه كأنهم عطاش المهاري تقصد مورد الماء للشرب بعد ظمأ

---

[1] ديوان العباسي – الدار السودانية – الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص (١٥٠) .

[2]المشرفية : السيوف الجيدة تنسب لمشارف الشام وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف منها السيوف المشرفية

[3] المجر : الكثير من كل شيء والجيش العظيم .

[4] الشذر : صغار اللؤلؤ .

الموت بقدر مرارته عندكم وقد استنشّقوا من نحوكم روائح الجنّة فتسابقوا اليها فيقول : [١]

أسائلكم صهب[٢] الأعاجم هل درى ** دمستقكم [٣] كيف انطوى دونه الستر
فقد سلبته الحرب نطـفة وجهه ** كما سلب المشتاق نضرته الهجر
خطبتم لعـمر الحق من لستم لها ** بكـفـء ولم يوجد لها عندكم مهر
فحرصتمو في ضمـها فأبت لكم ** سيـوف رقاق من دمائكم حمر
فبؤتم يمين الله في كل صـفقة ** بغـبنٍ ولا لبس إذا طـلع الفجر
وفرسان حربٍ لا ترى الموت حاجزاً ** ولم يثنـها عن عزمها أنكم كثر
يهيمون شـوقاً للطـعان كأنهم ** عِطاش المهارى قد أضَرّ بها العشر[٤]
يذوقون طعم الموت حـلواً وسائقاً ** على قدر ما يبـدو لكم طعمه المر
همو نشقوا من نحـوكم نشر عنبر ** فخاضوا بحاراً ينقضي دونها العمر

ثم يختتم قصيدته حاثاً لهم على السعي إلى إحدى الحسيين الشهادة أو النصر داعياً أياهم لتتبع خطى أسلافهم الأوائل في بيع الانفس مقابل الجّنة وان يكون ذلك ديدنهم في التضحية والفداء وفي ذلك فيقول :-

ألا يا بـني عثمان والعرب الألى ** مضوا وهمو في الكون أنجمه الزهر
عليكم بإحدى الحسنـيين فإنها ** هي الظفر المبقي عُـلاكم أو القبر
فقد بعتموا أموالكم ونفـوسكم ** إلى الله والاثمـان على ذلك الأجر
إلا هكذا سـار الأوائل منـكم ** يعدونــه ذخراً ونعم هو الذُخر
هنيئاً لكم إذا أكنـتم ذادة الحمى ** ودام لكم في كـل صالحه ذكر
ولا برحت في العـود جذوه ناره ** ولا زال يغدو في صفوفكم النصر

---

(1) ديوان العباسي – الدار السودانية – الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص (١٥١) .

(2) الصهب : الاحمر ويريد الشاعر حمرة البشرة .

(3) الدمستق : القائد من الروم .

(4) العشر بالكسر : ورد الإبل في اليوم العاشر .

وعندما كُرم شاعر مصر الكبير أحمد شوقي وأطلق عليه في هذا التكريم لقب أمير الشعراء بايعه شاعرنا العباسي وأظهر ولائه له في قصيدةٍ أسماها (تكريم أمير الشعراء) مدح فيها شوقي وأطلق عليه (شاعر الضاد) واستعار له لقب (صنّاجة العرب) من بشّار وذلك لأن شوقي كان من دعاة القومية العربية ، ومتأثراً بقضايا العروبة والاسلام ومؤثراً فيها من خلال ما بثّه لنا في اشعاره فيخاطبه بقوله [١]:-

يا شاعر الضاد يا صنّاجة العرب ** اسلم لدولة أهل الفضل والأدب
واستقبل العمر لا تعدوك جدّته ** تبلي بها جدّة الأيام والحقب
تدفق الناس فيهم كل ذي أدب ** ممن علمت وفيهم كل منتخب
وعندهم لك والتكريم رائدهم ** طراز وشيٍ من الأشعار والخطب

ويقر له فيها بالامارة المطلقة علي شعراء العربية الافذاذ الذين اتوه مبايعين له بالإمارة عليهم مادحين له مثنين علي بيانه ، ثم أخذ يناشده ليذيع مآثر العرب وتمجيد ماضيهم واستشراف مستقبلهم لما لشعره من وقعٍ على النفوس وجرس على الاذآن ويدعوه إلى استنهاض همم الأمة العربية إنطلاقاً من حضاراتهم الراقية وتبصيرهم بما آلت إليه حضارة الغرب اليوم من مخترعات حديثة استمدوه من بحوث علمائنا بالأمس فيقول مخاطباًَ إياه :

يا فخر مصر بماضيها وحاضرها ** وسَعْد مصر بهذا الشاعر الأرب
ناضلت عنها فما خانت وما وهنت ** قواك في غير مأمنّ ولا صخب
مواقف وقعها في كل نازلةٍ ** وقع السلامة في أحشاء مضطرب
قم ذكّر القوم بالماضين وما فعلوا ** وأذكر لهم كيف كانت دولة العرب
واذكر أميّة وأذكر مجد هاشمها ** والمنعمين بني حمدان في حلب
من لا يعابون في حالٍ إذا قدروا ** ولا تغيِّر منهم سورة الغضب
كانت بهم دولة الإسلام في دعةٍ ** ومن عزائمهم في معقلٍ أشب
أيام قد بسطوا ظل الحضارة في الدنيا ** وجاءوا لهذا الدهر بالعجب
حضارة ما أباحت للضعيف حمىً ** ولا أجازت بحال عزم مغتضب

---

[1] ديوان العباسي – الدار السودانية – الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص (١٦٠) .

ثم يلتفت شاعرنا الي حال قومه فيأسى له ويتحسّر عليه ، فقد شغلهم اللهو ، وإستمدّ بهم الطرب عن بلوغ المجد والوصول الي العلياء ، شغلتهم المناصب وغرّتهم الالقاب فتسابقوا في نيلها وتقليدها بينما شغل الغرب بتحصيل العلم وتوسيع المعرفة حتي إرتادوا الفضاء ، ويُبصّر قومه بأنهم اذا ارادوا بلوغ ما بلغوه فعليهم بالعمل الجاد والتخطيط السليم ٠

هل من رسولٍ إلى قومي فيخبرهم ** أن لا سبيل إلى العليا بلا تعب
وإن كل فخارٍ لا يُقام على ** دعائم الجِّد عقباه الى العطب
ألهاهمو زخرف الدنيا وما ملكوا ** عن المعالي وما أوتوه من نشب[١]
مستعذبين كؤوس اللهو مترعة ** ببارد الظل فيه بارد الشَنْب[٢]
ظنوا الحصول على الألقاب مكرمةً ** والشؤم في هذه الألقاب والرتب
والناس قد سبحوا بالجو في سفنٍ ** ترمي بذي شررٍ منها وذي شطب
غاصوا فلا خوف يثنيهم ولا نكروا ** في الليل جرجرة الأذِّي[٣] ذي العبب
يا صادح الأيك غنِّ القوم تلقهم ** قوما إلى نغم العليا في طرب
فسر بهم واتخذ من عبقريتهم ** لدى قضية مصر أشرف النسب

وفي ختام هذا الفصل لا يسعنا إلا القول بأن المتأمل لديوان العباسي يلمس في معظم قصائده شجوٌ محزن يصوّر لك تصويراً رائعاً طموح هذا الرجل الذي يؤرِّقه ويجعلك تحس حرارة هذه الآلام والزفرات التي يعيشها هذا الكبرياء الجريح وأنت في هذا كله لا تملك إلا أن تعجب بمقدرة الرجل على تصوير حاله وهيئته وقد صدق أستاذنا الدكتور عبد المجيد عابدين عندما قال عن هذه المطبوعات المتناثرة في ديوان العباسي (إذا التفت الى نفسه فوصف زكرياته الماضية وعبّر عن إعجابه بالبطولة وحاول أن يزيل هما جاثماً على صدره في رحلة يقوم بها أو زفرة يرسلها أو

(1) النشب : المال

(2) الشَنْب : الحدة في الأسنان مع برد وعزوبة .

(3) الأذِّي ذي العبب : أي البحر ذي الذبد المتدفق .

فخر بنفسه وتعريض بغيره بلغ في ذلك شاواً بعيداً . وانقلب شاعراً من طراز رفيع يذكرنا بفحول الشعراء الأولين) [٤].

المبحث الأول
العــــباسي والمرأة

إن المتأمل لديوان العباسي يجد أن الوجْد والحنين الذي نلمحه في بعض غزلياته والذي يماثل وجد وحنين المتصوفة يتبدد في بعض الأحيان ، ويحل مكانه الغزل المادي الذي يبالغ في الوصف الحسي أو يمعن في وصف حالات اللقاء والهمس والعناق . وما يصحب كل ذلك من تصوير التلذذ الحسي وإطفاء الحنين المتأجج وكل ذلك يرجع الي تشدد البيئة الاجتماعية التي ترعرع في أحضانها وظروف الكبت والحرمان التي عاش فيها ولم يكن له متنفّس الا عبر هذه الغزليات التي اجاد التعبير فيها عن روح الفنان وحاسة الأديب والتي صبّها في غالب غزل المتصوفة الذي يعبر عن الوله والوجد الخالص للذات الالهية حتي انه لم يكن متاحا له في تلك البيئة ان يصرح باسماء او اسم محبوبته الا في استعارته لاسم هند وسلمى كعادة المتصوفة كما وضّحنا ذلك سابقاً ومما لاشك فيه ان العباسي قد نبت في قلبه حب وهو يتجول في ربوع البادية ، حب كبير كما دللنا عليه في شعره فيما اسلفنا من حديث ونحن لا نعلم أن كان العباسي قد قصر حبه علي محبوبة واحده بعينها ام انه قد عشق كثيرات منهن في فترات متقاربة او متباعده وانما المهم هو ان العباسي قد وجد في بادية الكبابيش ذلك الانطلاق والاستمتاع بالحياة الذي يتوق اليه واحب فيها حبا عنيفاً كان نتاجه هذا الغزل المادي الذي تناثر في مقطوعات العديد من قصائده ولا يعيب الشاعر في شئ ان يتغزل غزلًا مادياً او عذرياً وانما المطلوب هو صدقه في تحليل تلك العاطفة التي يحس بها والتي تغنى بها الشعراء منذ ان عرف بيت الشعر .

وقد كانت البادية احسن حالا في الاعتراف بهذه العاطفة الإنسانية اذا قورنت بالمدن في ذلك الحين لان طبيعة الحياة فيها تجعل إختلاط الفتيات والفتيان أمراً مألوفاً ومقبولا ولكن العباسي اتى الي البادية في صورة ليست هي بصوره الفتيان في البادية فهو

---

[4] العباسي الشاعر التقليدي المجدد . د . حسن أبكر الطيب ١٩٩٩م .

ابن البيت الديني الكبير الأمر الذي يلزمه بسلوك محدد وعين الرقيب التي يخشاها ترصده من حين الي اخر وهو القائل معبرا عن كراهيته وضيقه بهذه الرقابة

اعـدي اعـادية الرقيب ** ولائـم في الحـب لامة[١]

ويقول [٢]:

ولا منــي فيك والأشجان زائدة ** قوم وأحرى بهم ألا يلوموني

وضـع لا يمكن معـه أن يعرف مـن المحبوبـة إلا طيفها البعيد ولا يحادثها إلا خلسـة بعيدا عن عين الرقيب وهو حـال لا يتأتى إلا قليلا فـي مثل هذا الجمـع الذي يعزه ويجلـه ويحيطـه إحاطـة السوار بالمعصم ، نتيجـة لهذا الوضـع كان فـي شـعره كثيـر مـن الغزل المادي الذي تحس فيه بمرارة الحرمان يقول في قصيدته (وادي هور)[١] :

روحـــــي الفـــــداء لـــــهاجرٍ ** ان زار كالنســـــمات مــــــر

يــا لطــفّ مــا حــوت الحــشى ** يـاثـــــقل مـــــا تحـــــت الاذر

قســـــما بعـــــذري الهـــوى ** وقـــــوامك اللّـــــدْن النضــــر

ويلــــــؤلؤ الثـــــغر البــــرود ** ومـــــا بعيـــــنيك مــــن حـــور

ان عـــــدتنى او لـــــم تــــعد ** يـــــا بـــــدر ذنــــبك مغــــتفر

فانظر إلى قولة :

يا لطف ما حوت الحشاء ** يـا ثقل ما تحت الاذر

لتعلم مدى الكبت والحرمان الذي عاش فيهما شاعر فكأني بـه يمني نفسه بهما وإشباع رغبته منهما ثم يتنبه إلى الرقيب فيقول :

(قسماً بعذري الهوى ...)

ثم قولة في يوم التعليم[٢] :

صـحبٌ حملـت لـواء العشـق بينــهم ** من قبل أن يصبحُ العشاق عُشّاقا

---

[1]ديوان العباسي – الدار السودانية – الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص (١٨٠) .

[2] المرجع السابق – ص (١٠٥) .

[1] ديوان العباسي – الدار السودانية – الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص (٦٥) .

[2] المرجع السابق – ص (٨٧) .

إذ ليس في المذهب العذري لوم فمٍ ** أرضى فماً ومشوق ضم مشتاقا

وكأنه يعتنق هذا المذهب الذي يحلل القُبل ويُجّوز العناق للتعبير عن عاطفةٍ مشبوبة .

وهو عندما يصف رحلته إلى النهود تستفزه ذكري أيام اللهو ولحظات المتعة التي تتجدد كلما ذكر النهود حتى عند تقدمه في السن .

فيقول[٣] :

معالم قد أثارت في جوانحنا ** شوق الغرير لمهضوم الحشا الرود

استغفر الله لي شوقٌ يجدده ** ذكر الصبا والمغاني أيّ تجديد

وتلك فضلة كاسٍ ما ذممت لها ** طعماً علي كبرٍ بُرحٍ وتأويد

ان زرت حياً أطافت بى ولائده ** يفدينني فعل مودودٍ بمودود

وكم برزت الي لقياى في مرح ** وكم ثنين الي نجواي من جيد

لوا ستطْعن وهنّ السافحات دمى ** رشفنني رشفُ معسولِ العناقيد

يا دار لهوى علي الناي اسلمي وعمى ** ويا لذاذة أيامي بهم عودي

ويقول في (عهد جيرون)[١] واصفاً محبوبته بالريم في جيدها وبالخيروز في لين قامتها وهو نبات لدن ورطب والبرق لابتسامتها وفي قولة:

(بات طوع مرادي) أى ملبيا كل رغباته مجيباً كل حاجاته فيقول في (عهد جيرون) :

في ذمة الله محبوب كلفتُ به ** كالريم جيداً وكالخيروز في اللين

افديه فاتر ألحاظٍ وحقّ له ** افديه حين سعى نحوي يفدّيني

يقول لي وهو يحكى البرقُ مبتسماً ** (يا أنت يا ذا) وعمداً لا يسمينى

انشات أُسمِعُهُ الشكوى ويسمعني ** أدنيه من كبْدى الحرّى ويدنيني

اذر في سمعه شيئا يلّذُ له ** قد زانه فضلُ إبداعي وتحسيني

فبات طوع مرادي طول ليلته ** من خمر دارين اسقيه ويسقيني

---

[3] المرجع السابق – ص (٩٩) .

[1] ديوان العباسي – الدار السودانية – الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص (١٠٥) .

ثم انه انتبه من بعد ذلك كعادته في كثير في قصائده إلي البيئة الاجتماعية التي نشا فيها وانه أحرى به ان يراعى في غزله ذلك الشيب الذي وخط رأسة فيقول :

يا عهد جيرون [٢]كم لي فيك من شجنٍ ** بادٍ سقاك الرضى يا عهد جيرون

ولا يزال النسيم الطلق يحمل لي ** ريّا الجناب ويرويه فيرويني

واليوم مذْ جذَبت عنى اعنّتها ** هذى الظباء وولت وجهها دوني

وعارض العارضين الشيّب قلت له ** أهلاً بمن رجّحت فيه موازنين

كففت غرب التصابي والتفتُ إلى ** حلمي ولم اك في هذا بمغبون

وصرت لا أرضى الا العلا ابداً ** ما قد لقيت من التبريح يكفيني

وهو في وادي الربدة يخاطب محبوبته بقوله [٣]:

(يا حلو اللمى) فكأنما قد تزوقهما رغم صدودها ودلالها عليه ويقول انها لم تذعن لرغبته إلا عندما انشدها من شعره ارقه وأجزله فمالت إليه وانثنت له فقبلها وضمها :

بالله يا حلو اللّمَى ** مالك تجفو مغرما

صددت عنى ظالما ** افديك يا من ظلما

هلا ذكرت يا رشّا ** عيشاً تقضّى بالحمى

إلى قوله :

وقفت فاستسقيته ** وشدّ ما بي من ظمأ

جاء بماءٍ قلت هل ** حاجةٍ مثلى منك ما

أنشدته من فاخرِ الشعرِ ** رصيناً محكما

فَرَقَّ لي مسْتَسلما ** ومال نحوي منعماً

طويته طي الرِّدا ** متَّعتُ من فمٍ فما

---

[2] جيرون هنا كناية عن مرتع لهو أيام الصبا فهو من ذكر المحل وإرادة من كان فيه وهو في الأصل موقع من منتزهات دمشق وكثيراً ما يذكره الشعراء ويطلقونه على مواضع بعينها ومن ذلك قول أبي بكر الصنوبري

ولي في باب جيرون ظباءً أعاطيها الهوى ظبياً فظبيا

[3] ديوان العباسي – الدار السودانية – الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص (١٢٣) .

ثم في قصيدته (عروس الرمال)[1] يذكر لنا حاله مع محبوبته وقد عزم على السفر فجاءته في ليلة ظلماء لوداعه ويحدثنا عن جودها عليه في تلك الليلة التي فاحت فيها روائح المسك والمندل فيقول :

هل من رسول إلى ليلى فيبلغها ** عنى تحية إعظام واكبار

لم انسها اذ سعت نحوى تودعنى ** استودع الله منها خير مختار

في ليلةٍ لم ينم إلا الخليُّ بها ** ألقت على الناس والدنيا بأستار

سعت الي وفي لألاء غرّتها ** نور زممت لديه الكوكب الساري

فيا لها زورة جاد الحبيب بها ** وساعةٌ تُشترَي منه بأعمار

ورد حبتنا به الجنات مؤتلقاً ** من صنع ربك لا من صنع آذار

وقد ظلمناه ان جئنا نشبهه ** بفارةِ المسك او بالمندل الداري

يا قبلة ما احيلاها بهمهمة ** فيها معاني ابن زيدون وبشّار

وهو في قصيدة (بنو ابي) [2]يقف في ربوع إحدى محبوباته ويرمز لها بسلمى وكانت قد رحلت عن تلك الربوع فوقف عليها يمنّي نفسه بلقياها ويتذكّر ايامهِ معها ويصف لنا فرحته عندما التقى بها رغم لوم العُزّال .

وليل كمنقار الغراب ادرعته ** وما صحبتي الا المهند والكوما [3]

طرقت به من آل سلمى محلة ** شغفت بها علَّي آلاقي بها سلمى

فيا فرحتي لما التقينا فقد جرت ** أحاديث وجدٍ ما استطعنا لها كتما

نزلنا على حكم الصبابة والهوى ** على رغم عزال لنا اكثروا اللوما

تمتعت من لهو شهيٍ ومنطقٍ ** رخيم وخدٍ كدْت أقطعه لثما

فما الثغر إلا عقد در منظم ** وما الجيد إلا جيد خاذله أدمى

---

[1]ديوان العباسي – الدار السودانية – الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص (١٣٢) .

[2] المرجع السابق – ص (١٥٥) .

[3]الكوما : أصلها الكوماء وهي الناقة العظيمة السنام

وفي مراسلته لاحمد الصاوي القاضي يصف لنا ما كان بينه وبين إحدى محبوباته فيقول(١) :

والله ما الروض العطير ** سقته أنفاس الغمامة

والراح في يد شادن ** غنج يمدّ إلي جامة

بألذّ من وصل الذي ** قد زرت في لهفٍ خيامه

حتى انتهمت لخدره ** ونزعت عن قمرٍ لثامه

قبّلت منه مبسماً ** كالشهد او ريقِ المُدامة

فرنا وبات مطوّقاً ** من ساعدي طوق الحمامه

وفي النفحات السمانية (٢) يقول وكأنه يتغزّل بإحدى محبوباته فيشبهها بالشمس ودموعها عند الوداع بأشعة البدر وأناملها باللؤلؤ وصفاء عيونها بالزنجبيليه اى الخمر فيقول:

تطلبني الأيام كل جميلةٍ ** كاني جانٍ في وجودي بها ذنبا

ولما تنادوا للرحيل وازمعوا ** وريح صبا الاشواق في جوفها هبا

بكت : هي الشمس والدموع كأنها ** أشعة بدر التّم تخترق السحبا

فمدت لتنشيف الدموع بها ** أنامل يحكي لينها اللؤلؤ الرطبا

تزودت منها وهي عبرى بنظرةٍ ** فما تركت لي بعدها والهوى لبا

عجبت لذات الدل تحمل ردفها ** وعهدى بها من حمل خلخالها غضبى

لها أعين نجل إذا ما رنت بها تدير عليك الزنجبيليه(٣) الصهبا

ونحن في ختام هذا الفصل نقول أن المرأة بالنسبة للعباسي لم تكن تعني ماتعنيه إلى المتنبي حاديا إلى المجد وذلك لان المتنبي عاش في عصر كانت كل المتع فيه مباحة وإشباع كل رغبة متاحة لذا كان المتنبي يبحث عن النموذج المعنوي بعد ان ضاق بالنموذج المادى فوجد ذلك في المراه كما انه لم يترعرع في بيئة كانت تلزمه بسلوكٍ محدد

---

(1) ديوان العباسي – الدار السودانية – الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص (١٧٢) .

(2) المرجع السابق – ص (٢٥٩) .

(3)الزنجبيلية الصهباء : الخمر وكانت تصنع من التمر ويوضع عليها الزنجبيل ولذلك سميت بالزنجبيلية .

. أما العباسي فكما ذكرنا عاش في بيئة اجتماعية متشددة تلزمه بكتم أحاسيسه وكبت عواطفه فكان من نتاج ذلك الغزل المادي أو الحسي في شعره مكشوفا تاره رغما عنه ومغلفاً تارة أخرى رغما عنه أيضا برموز أهل التصوف للذات الإلهية .

الفصل الخامس

ذاتية العباسي

المبحث الثاني
تحليل نمازج من شعر العباسي وأراء معاصريه

لا أزعم أنه باختياري لهذه النماذج أنني قد وقفت على أروع أشعار العباسي فذلك اعتقاد يخالفني فيه أهل الذوق على إختلاف أذواقهم ولكنني أقول أنها نماذج لها في نفسي صدىً رنان تم اختيارها على أنها تمثل أغراضاً مختلفة من شعر العباسي ، من وصفه للطبيعة والمدح واللوم ولا أقول الهجاء لأنه أبعد ما يكون إلى نفس العباسي الأبية كما أن بعضها يبين لنا جزالة العباسي وتمكنه من لغته التي يصفها كثيرٌ من نقادنا اليوم بالرصانة وآمل أن أكون قد وفقت في اختيار ما يرضي ذوق المتصفّح لشعر العباسي .

قصيدة مليط (1):

نجدها في الديوان الطبعة الثانية سنة ١٩٩٩م في ص٤١.

ومليط مركز من مراكز دارفور بالسودان وتبعد عن الفاشر عاصمة المديرية بنحو سبعين ميلاً من جهة الشمال ويشق مدنيه مليط واد عظيم يسمى وأدى مليط وينحدر هذا الوادي من الغرب من مركز كتم ، وفي مليط كثير من أشجار النخيل وتزرع فيها الفواكه بأنواعها وتروى بماء الآبار التي تحفر في بطن ذلك الوادي ذى الخيرات الحسان .

يبدأ العباسي قصيدته بالتحدث عن جمال الطبيعة في مليط ، ويدعو لها بالسقيا من السحاب الذي يأتيها صباحا فيجود علي واديها ذي الجنان التي تجلو شجا الخالي ، وتروي غلة الظمآن ، ويصف لنا نخيلها الباسق الذي يلثم ذيل السحاب ، كما يصف عيون مائها التى تنساب في وديانها والحمائم الورق التي تهتف بالألحان في الظلال الوارفة ، ويتمنى شاعرنا من الله ان يهبها الخلود لو كان مكتوب لشي في هذه الدنيا الفانية فهي أولى به ويشبه الشاعر (مليط) (بالمطيرة) وهى جزيرة ببغداد كان لأمير المؤمنين عبد الله من المعتز قصر فيها وقد قال فيها ابن المعتز (2):

سقى المطيره ذات الظل والشجر ** ودير عبدون هطّالُ من المطر

فطالما صحبتني للصبوح بها ** في غرة الفجر والعصفور لم يطر

أصوات رهبان دير في صلاتهم ** سود المدارع نحارين للسحر

---

(1) ديوان العباسي ط ٢ سنة ١٩٩٩ (ص ٤١) .

(2) ديوان بن المعتز – شرح ميشيل عثمان – الشركة اللبنانية للكتاب بيروت – توزيع دار مصعب – ص (٢١٨) .

ويعيذ العباسي حسن مليط بالرحمن من عيون الحساد ، ويمدح فيها صديقة الحميم نصر بن شداد الذي كان مدير لمركزها فيقول :

حياك مليط صوب العارض الغادى ** وجاد واديك ذا الجنات من واد

فكم جلوت لنا من منظر عجب ** يشجى الخلي ويروى غلة الصادي

أنسيتني بَرَح آلامي وما أخذت ** منا المطايا بإيجافٍ وايخاد

كثبانك العُفر ما أبهى مناظرها ** انس لذى وحشهٍ رزقٌ لمرتادِ

فباسقُ النخل ملءُ الطرفِ يلّثِم من ** ذَيل السِّحاب بلا كدٍ وإجهاد

كأنه ورمالاً حوله إرتفعت ** أعلام جيشٍ بناها فوق اطواد

واعينُ الماء تجرى في جداولِها ** صوارما عرضوها غيْر إغماد

والوٌرْقُ تهْتف والاظلالُ وارفةٌ ** والريحُ تدفع ميـاداً لميادِ

لو أسطعْتُ لأهديتُ الخلود لها ** لو كان شيً إلى الدنيا لاخلاد

أنت المطيرةُ في ظلٍ وفي شجرٍ ** فقدْتُ أصوات رهبانٍ وعبادِ

أعيذ حسْنك بالرحمن مبْدِعهُ ** يا غرة العين من عينٍ وحُساد

وضعْتُ رحْلي منها بالكرامةِ ** في دار ابن بجْدَتِها نصر بن شدّادِ

ثم يخاطب العباسي حمامة ورقاء ، ويطلب منها أن تسعده باللحن لأنها حركت فيه هوىً للنيل وساكنيه، وأثارت فيه العواطف الكامنة والشوق المدفون فيتغنى بآلامه ، ويشير الى حاجة في نفسه كان يمكنه نيلها لولا عوائق زمانه ، ويرمز في القصيدة بأسماء وهي سعد بن وهب ويحيى بن عباد ويستعيرها لرجال في السودان ، عزوا بعد ذل ، واثروا بعد فقر وبدلا من خدمة البلاد والأخذ بناصرها ، جعلوا أنفسهم جندا او دعاة لإستعمار بقول:

وحاجة ما يعنيني تتطلبها ** لولا زماني ولولا ضيق أصفادي

يا سعد سعد بنى وهب أرى ثمـ راً ** فجد فديتك للعافي بعنقاد

وان في بعض ما قد عاق شاربكم ** أعتاب ذي الفضل يحيى بن عباد

ثم يعود لمناجاة الورقاء التي نزل بدوحتها الظليلة فيناجيها ويقول لها انه يريد مجازاتها بالإنشاد لما أسمعته من الألحان الشجية فيواسي الحمامة ويخبرها انهما سيّان

في شرع النوى والبعد عن الأوطان فالآلام تجمع الأضداد ، ويطلب منها أن تأنس به فستجده كريماً معها .

ورقـــاء انــك قــد أســمعتني حســنا ** هيــا أســمعي فضـل إنشــائي وإنشــادي

انــا نــديمان فــي شــرْع النــوى فخــذي ** يــا بنــت ذى الطــوق لحنــا مــن بنــى الضــاد

فربمـــا تجـــمع الآلام إن نزلـــت ** ضــدين فــي الشــكـل والأخــلاق والعــاد

لا تنـــكريني فحـــالي كلـــها كـــرم ** ولا يريبـــك اتهامـــي وانجـــادي

وتذكرنا أبياته هذه حال شوقي في الأندلس والتى عبر عنها في قصيدته التى جاري بها ابن زيدون في نونيته ، وذلك عندما سمع شوقي طائرا يغني فقال [1]:

يـــا نائـــح الـــطلح أشــباه عواديـــنا ** نشـــجى لواديـــك ام ناســـي لـــوادينا

كـل رمـته النــوى ريـش الفــراق لنـــا ** ســـهماً وســـلّ عـــلينا الـــبين ســـكيناً

فان يك الجنس يا ابن الطلح فرقنا ** إن المصـــائب يجمعـــن الـــمصابينا

وبعد أن يفرغ العباسي من مناجاة الورقاء يوجه حديثه إلى عيد رمضان الذي أدركه بمليط فانتابته هواجس الذكريات وأحداث سنة ١٩٢٤م ويذكر خروج الجيش المصري من السودان وكان به ضبّاط مصريون ذوو علم ودراية ومعرفة وأخلاق ، وللعباسي صلة بهم ترجع لسنة ١٨٩٨م حينما كان بالمدرسة الحربية ، يخاطب العباسي العيد ويتمنى لو أبدله الله به المرض والموت إذ انه اصبح لا يرى للعيد بهجة بعد فراقه لا ترابه وأنداده أولئك الغرّ الميامين الذين ذهبت بذهابهم مواسم أفراحه فشقي بمن احسن إليه ولا يصرح باسم ذلك الشخص ولكنه يطيل القول فيه ، ويهدده بأنه سيلقى جزاء الذين ظلموا ويهجوه هجاءاً مراً فيقول:

وأنـــت يـــا عيـــد لـــيت الله أبـــدلني ** منـــك الـــغداة بعـــواد وأعـــواد

مـــالي وللعيـــد والدنيـــا وبهجتهـــا ** وقـــد مـــضى أمـــس أترابـــي وأنـــدادي

أولئـــك الغـــر أخـــواني ومـــن ذهـــبت ** بهـــم مواســـم أغـــراضي وأعـــيادي

---

[1] شوقي شاعر العصر الحديث – د . شوق ضيف – الطبعة الثالثة عشر – ص (٣٤) .

ولكأني به نظر إلى قول المتنبئ في العيد الذي أدركه وهو في مصر بين حاشية كافور الإخشيدي بعيداً عن حلب معقل سيف الدولة فيقول :

وقد عزم على الهروب من كافور هاجياً له متحسراً على بعده من سيف الدوله فيقول(٢):

عيدٌ بأيّ حالٍ عدْتّ يا عيد ** بما مضى أم لامرٍ فيك تجديد

أما الاحبة فالبيداء دونهم ** فليت دونك بيداً دونها بيد

ثم يمضي العباسي في هجاء من أساء إليه فيقول :

مضوا فهل علموا اني شَقيتُ بمن ** البستُه ثوب إعزازٍ واسعادِ

لم يجْزني لاجزاه الله صالحةً ** براً ببرِ وإرفاداً بإرفادِ

أبحت منى حماً قد كان ممتنعاً ** حمى البهاليل آبائي واجدادي

هادٍ يضلَّ وحيران يدلَّ وما ** طول البليةِ الا حيرةُ الهادي

أغرقتها فانجُ ان كنْتَ اللَّبيب ولا ** أراك تسلم من بحرٍ وإزباد

واصبر تَذُق مرّ ما ذاق الذين بغوا ** من قبلِ والله للباغي بمرصادِ

لا تخدعنَّك نِعْمى قد حبُوك بها ** ولا الزعانف من رهطٍ وأجْنادِ

فلست ايأس من عدل المليك ** بان يخْنّي عليهِم كما أخنَى على عادِ

لثمت كفاً ولا ادري الذي اشتملت ** أصابع اليد ام اشراك صيّاد

وليت شعري هل عرف السماحة ما ** أشم أم عرف دارينا وبغداد

مهامة غرني لمع السراب بها ** ومذهب لم اكن فيه بنقّاد

ثم يأسى العباسي لزوال العهد الذي ودّع فيه السادات يوم كان شملهم مجتمعاً وكانوا قبلة القصاد ويريد بذلك اباءه يقول :

استودع الله سادات فقدتهم ** حدا بهم حيث لا ألقاهم الحادي

تحية الله يا أيام ذي سلمٍ ** ايام لم نخشَ باس القاهر العادي

فان جرى ذكر أرباب السماحة أو ** نادى الكرام فإنا بهجة النادي

لنا الكؤوس ونحن المنتشون بها ** منا السقاة ومنا الصادح الشادي

---

(2) ديوان المتنبئ – شرح أبي البقاء العقبري – جزء ١ ، ٢ – ص (١٥٠) .

ثم يختم الشاعر قصيدته (مليط) بتصوير حال قومه الذين رمتهم الدنيا بالفرقة والأحقاد ، ويخاطبهم فيذكر لهم انهم لن يعدموا هادياً فليسيروا على اسم الله ولا يضعفوا ويختم القصيدة ببيت يسلم فيه بالقضاء والقدر .

اليوم ابدت لنا الدنيا عجائبها ** بما نقاسية من حرب وأحقاد

وما رمى الدهر وادينا بداهيةٍ ** مثل الأليمين : تفريقٌ وإبعاد

بني ابي انتمو زيد على مائة ** وما عدمتم أخا هدى وارشاد

سيروا كراماً على اسم الله ** لا تهنوا فدهركم دهر اصدارٍ وايراد

ان يرسل الله من عليائه فرجاً ** ندرك وإلا فكلٌ رهنُ ميعاد

ويرى بعض النقاد منهم دكتور احمد عبد الله سامي أن قصيدة العباسي (مليط) تشبه قصيدة جرير التي يمدح فيها معاوية ابن هشام في القافية وحركة الروي والوزن والأسلوب وربما يكون قد نظر إليها قبل نظمه لقصيدته فالعباسي قد استهلها بالحنين في روح حزين كما فعل جرير في نسيبه ويشبه أسلوب الأبيات الأخيرة التي أشرت إليها أسلوب جرير في مدح آبائه وأجداده والزراية ببعض بني قومه [١] كذلك يرى الدكتور احمد عبد الله سامي ان العباسي تأثر في نفس القصيدة بقصيدة القطامي التي مدح بها زمر بن الحارث والتي يقول في مطلعها :

ما اعتاد حب سلمى حين معتاد ** ولا تغضى بوادي دينها الطادي[٢]

فهي مشابهة لها في الوزن والبحر والقافية وحركة الروي كذلك تتشابه القصيدتان في أبيات الغزل كما أن العباسي عندما يتحدث عن الذين شقي بهم في الأبيات المذكورة سابقاً وافق قول القطامي في روح الهجاء:

فأسال نزاراً فقد كانت تنازلني ** بالنصف من بين أسخان وإيراد

واسال ايادا وكانوا طالما حضروا ** مني بواطن إدناء وابعاد

عني وعن قرح كانت تضم معي ** حتى تقطع مني مَثْنَىّ وفُرَّادِ

---

(1) انظر ديوان جرير لشارحه اسماعيل عبد الله الصاوي ، طبعة مصطفى محمد سنة ١٩٣٤م (ص ١٥٢- ١٥٦).

(2) انظر ذيوان لقطامي تحقيق الدكتور ابراهيم السامري وأحمد مطلوب طبعة بيروت – الطبعة الأولى سنة ١٩٦٠م ص (٧٨) .

فـلا يطيقـون حملـي إذ هجوتهـم ** وان مدحتهـم لـم يبلغـوا آدى

٢) كفاح مصر[1] :

قصيدة يمدح بها العباسي مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصري ، قبل ثورة الجيش بمصر سنة ١٩٥٢م ويذكر فيها الشاعر أن الزمان قد رد الحقوق إلى أهلها بعد ظلمهم ، فاصبحت مصر أرسى من المقطّم واشد رهبة من كهف اللبؤة قال :

صحا الزمان فرد اليوم ما ظلما ** وخاب ما ظنه الغالي وما زعما

واظهر الله من أمر الكنانة ما ** قد كان سراً وراء الغيب مكتتماً

رد الحقوق وأعطاها طواعيه ** من كان بالأمس معتزاً ومحتكما

حتى غدت مصر أرسى من مقطمها ** ركنا وارهب من كهف اللبّاة حمى

ومنها:

فهب قائد مصر الحر في نفر ** كانوا له في طلاب الحق مدعما

باعوا النفوس رخيصات فما سئموا ** مر النضال ولا والله ما سئما

ويشيد بالمصريين فيهم نفر كرام نشروا العلم بالسودان ولم يكونوا كالذين عبثت بهم يد الاستعمار فمالوا عن الطريق السوي فيقول :

بنو الكنانة ما أشهى الحديث بهم ** إلى النفوس وما أغلاهم قيما

زدني سؤالا أزدك اليوم معرفةً ** بهم فما كان ذو جهلٍ كمن علما

هم الكرام فكم فيهم اخو ثقةٍ حلو الشمائل تندي كفه كرما

يولي الجميل ويستهويك عارفه كالغيث يمّمه العافون حيث هما

بنو المعارف بالسودان وازدهرت به وشادوا منار العدل فانتظما

لا وربك ما كانوا لنا ابدا بقاسطين ولا كنا لهم خدما

حصنا نعمنا به حينا فمذ لعبت يد السياسة مال الحصن فانهدما

لا اكذب الله كم جرعن في غصصٍ من بعضهم ولكم ذقنا بهم الما

فما بنوا كالذين كانت أوائلهم تبني ولا حسباً صانوا ولا شمما

[1] ديوان العباسي – الدار السودانية – الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م – ص (١٧٥) .

ويلوم الشاعر بعض المصريين ضعاف النفوس الذين استعان بهم الاستعمار الإنجليزي لتحقيق بعض اغراضه في السودان ويُصّرح بالأسباب التي جعلته يترك المدرسة الحربية . ومنها بعض زملائه لحسدهم له فيقول :

جار الزمان فجئنا نستجير بهم ** من الخطوب فكانوا الخصم والحكما

وما درى القوم انا اولياؤهم ** لسنا السوائم بالمرعى ولا الغنما

لولاهم ما طرحت السيف تعرفة ** كفي ولا رضيت من بعده القلما

سيف تمنيت أن ألقى العدو به ** تحت العجاجة يوم الروع منتقما

ولست إن فاتني حظٌ بمبتئس ** لعل في العمر الباقي لنا قسما

ويستطرد العباسي في مدح مصطفي النحاس ، الذي رد للمصريين حقوقهم ويذكر إن السودان يد لمصر وهو حمى لها ويؤيد قوله ببلاء السودانيين في واقعة التل الكبير بين عرابي والجيش الإنجليزي حتى فنوا عن آخرهم كما حدثنا الرافعي في تاريخه فيقول :

يا أيها المرتجى يا من نلوذ به ** يا خير من ذاد عن أوطانه وحمى

سودانا منكم والعرب أمتنا ** إن رمته كان في اللاواء خير حمى

سل عنهم وقعة التل الكبير وسل ** إن شئت من قرأ التاريخ او رمما

وقد أشار شاعرنا صراحة في هذه القصيدة إلي شباب ثورة ١٩٢٤م بالسودان وذكر تمردهم على الإنجليز ، فضرب العدو بعضهم بالرصاص ونفوا بعضهم إلى الجنوب حتى ماتوا هناك ، وليس لهم من ذنب جنوه إلا حبهم لمصر يقول :

وان نسيتم فلا تنسوا اسود شرىً ** تفنن الدهر في تشتيتهم رمما

سيموا العذاب وأوذوا في سبيلكم ** عاشوا جياعاً وماتوا بالجنوب ظمأ

بالأمس أغنت يد العافي اكفهم ** واليوم اشبعت الغربان والرخما

يهفو فوادي وأني ما ذكرتهم ** إلا جرى الدمع من عينيَّ منسجما

أراقب النجم بالأسحار انشده ** منهم واستخبر الربان والعلما

ويُلاحظ في قصيدة وكفاح مصر إنها تختلف في روحها عن سائر القصائد التي تحدّث فيها العباسي عن مصر ، فقد ذكّر المصريين بمواقف السودانيين معهم

ليشدوا من أزرهم في الأحداث الكبيرة ووضح لهم أن السودان حماً لهم ولعله فعل ذلك ليحفز المصريين على رعاية السودان رعاية حقه ، بعد المعاهدة المصرية الإنجليزية التي كفلت لهم بعض الحقوق .

أراء معاصريه :

يقتصر هذا الجانب من الفصل على إيراد الآراء التي صدرت عن معاصري العباسي في شخصهِ وفنهِ .

((إن حياة العباسي وشعره يضيئان أبعاد هذا المنظر في الحزن فتردده بين البادية والمدنية وتردده بين قبول الحضارة ورفضها يقوم دليلا على الأزمنة التي عاشها ورثة الهزيمة حين لم تجهز عليهم الحضارة الوافدة نهائياً كما فعلت بآبائهم – قبولاً أو رفضاً– وإنما أملت عليهم أن يعايشوها مرغمين ويظل هذا التذبذب بين حدي الاختيار قائماً وغير منحسم في كل أقطار الديوان فالمسألة لم تعد فرض القتال حتى آخر نفس ، كما فعل رجال كرري وإنما أصبحت خياراً بين المعاندة والتسليم بالهزيمة وكان كبرياء هذا الجيل يمنعه من التسليم ووعيه يمنعه من المعاندة ومن هنا كان حتماً أن يختار المنفى ، أن يهرب إلى الصحراء ومع ذلك يغشى المدينة من حين إلى آخر) .[١]

إن معظم الشعر الصوفي وخاصة مراثيه تعبر عن الأفق الضيق الذي كان يحد الشاعر فلقد وجد نفسه بأم مرح في ظروف اجتماعية خاصة كانت تفرض عليه أن يقول شعراً دينياُ تحس فيه بنغمة الذهد والتصوف يحاكي به من سبقه في هذا المجال ولا تشعر في مثل هذا النوع من الشعر باتجاه فني ممتاز كذاك الذي ظهر للشاعر بعد أن تحرر من القيود ولن أقف طويلاً عند الشعر الديني الذي نظمه في الفترة سنة ١٩٠٧ – ١٩٢٣ لأن الأسلوب الذي سلكه مطروق والمعاني مكررة [٢].

(وللعباسي ناحيته الروحية ، وهو لا يحب إظهارها كثيراً بل يظهرها عندما يختلي بنفسه ، ولقد وصفته في بعض كتاباتي بقولي " إلا انه راهب بالليل وأديب بالنهار "أما معاملاته فهو لا يعامل الشخص ولا يثق فيه إلا بعد ان يعلم مدى صدقه ومدى وفائه ، ولقد قلت أيضا مدللاً على وفائه " أن وفاء العباسي يلاحق أصدقاؤه حتى بعد موته وذلك يتمثل في الآتي انه من اكثر الناس قراءة لكتاب الله فهو يقرأ القران كثيرا وله قائمة بأسماء الاصدقاء ، يقرأ لهم القران من هؤلاء ابراهيم

---

[1] الفكر السوداني أصوله وتطوره محمد المكي إبراهيم (ص ٢٧) .

[2] الشاعر السوداني محمد سعيد العباسي د. أحمد عبد الله سامي (ص ٥١)

بدري ، ومصطفى محمد مساعد وقد كان يقول " اقرأوا لصديقي مصطفى من القرآن ما يقوى العلاقة بيني وبين ابنائه" وكان يكتب بدات يوم كذا وختمت يوم كذا وهذا من علامات الوفاء) . [٣]

(ان العباسي اول من نشتم في شعره رائحة السودان واستشهد بطرب العباسي عندما سمع المغنى الشعبي يقول :

ختــــاته ختــــى وزيــــدى * بكريكـــــى بــــي مجيــــدى**

شــــوفي لــــي حبيــــبي * فـــــي البــــلد البعـــــيدي**

فأعاد صياغة معاني تلك الأغنية بشعره حيث قال :

عرافــــة العــــرب زيــــدي * ومـــــن نــــداى اســــتزيدي**

فكيـــــف حــــال حبــــيبي * امـــــسى بقــــفرٍ بعيــــد**[٢]

ولم يرد ذلك في ديوان العباسي بل في كتاب ذكرياتي في البادية للاستاذ حسن نجيله (لشعر العباسي عندي مكانه خاصة ، وفنة محبب الى نفسي وكثيرا ما اعود لديوانه اقلب صفحاته واستعيد قراءة بعض نماذجة أروّحَ بها عن نفسي وفي مرات عديدة يخطر لي في أثناء قراءتى ان هنالك جوانب في فن العباسي ما تزال بحاجة الى تجليةٍ وكشف) [٣]

من المعروف أن صوت العباسي يمتاز بالرقة والعذوبة اذا انشد شعرا ويقال انه الى الآن لم يستطع أحد أن يقلده [٤].

إن كان العباسي مقلداً فهو تقليد في الشكل فقط دون الموضوع ونحن لا نعد ذلك تقليدا وانما هو محافظة على القالب والعمود الشعري [٥]

---

[3] أدباء سودانيون في دائرة الضوء/محمد خليل محمد – ومحمد فضل بكاب – إعداد وتقديم محمود خليل محمد ص(٦٥).

[2] الشعر الحديث في السودان د. عبده بدوي

[3] د. عبد المجيد عابدين في مقدمة كتاب وقفات مع العباسي للأستاذ عبد القادر الشيخ إدريس (أبو هالة) .

ج

[4] الأستاذ عبد العليم الطاهر علاقة البيئة بالعباسي .

[5] البروفيسور صلاح الدين المليك شعراء الوطنية في السودان .

فالسيد العباسي اذا صرح في شعره أحسست في موسيقاه اصداء اناشيد الشريف الرضي)[٦].

---

(6) الاستاذ محمد فريد أبو حديد مقدمة ديوان العباسي (ص ١٧ – ١٨) .

الخاتمة:

إن الدارسات التي مؤداها البحث عن الذّات السودانية والتى أجراها بعض كتّابنا وأدبائنا وشعرائنا من أمثال شعراء الغابة والصحراء كالفيتورى وصلاح احمد إبراهيم لهي جديرة حقاً بالاهتمام لأنها توصّل وتوثّق لتراثنا الأدبي الثر وتدفعنا للفخار به ولم اكن قبل كتابة هذا البحث استهين بهذا التراث كما لم اكن اعلم أن قدره عالٍ إلى هذه الدرجة فقد كان اهتمامي اكثر بالأدب العربي وشعرائه مثل المتنبي ، والشريف الرضي وعمر بن أبى ربيعه وغيرهما من شعراء العربية الأفذاذ ، ولم ادر أن من بين شعرائنا من هو مثلهم أو قريبا منهم ولكن قصّر إعلامنا عن إذاعة صيتهم فعندما عمدت الي كتابة بحثي هذا لم أجد ما يكفي من المراجع لتقييم اثر البداوة في شعر العباسي وإنما آراء متناثرة في كتابات بعض الذين تناولوه بالدراسة والتحليل فكان الاتصال بشيخ الطريقة السمانية في ود مدني الشيخ عبد المحمود سرور بحكم علاقة القربى بينهما والذي أمدني بمرجع أزاهير الرياض الذي أضناني البحث عنه وذلك لمعرفة أقسام الطريقة السمانية وكيفيه أوراد كل واحدة منها كما أن الكثير من مراجع هذه الدراسة لم يكن متوفراً قط في المكتبات العامة ولم احصل عليها إلا من دار البلد عن الطريق الاقتناء رغم كثرتها وارتفاع قيمتها إلا أن ذلك سهّل علّي الإطلاع عليها بتمهل وإمعان لاستخلص منها ما يختّص بهذا الجانب من الدراسة في أدب العباسي وأتمنى من الله فيها التوفيق والسداد ،،،

المصادر والمراجع :

- معجم الصحاح لاسماعيل بن حماد الجوهري .
- المعجم الوسيط – إصدار مجمع اللغة العربية .
- لسان العرب – لجمال الدين محمد بن مكرم الملقب بابن منظور .
- القاموس المحيط للفيروز أبادي .
- ديوان الشاعر عبد الله محمد عمر البنا – الطبعة الثانية – ١٩٨٥م .
- طبقات فحول الشعراء لابن سلام – السفر الأول – شرحه محمود محمد شاكر .
- العربية في السودان – عبد الله عبد الرحمن .
- عادات سودانية – أصولها عربية من وحي اللغة وطرائف التراث ونوادره – د. ابراهيم القرشي عثمان .
- ديوان الفرزدق – الطبعة الأولى ١٩٨٧ م – شرحه الأستاذ على فاعور .
- الأخطل في سيرته ونفسيته وشعره لإيليا الحاوي – دار الثقافة – بيروت .
- الشعر و المجتمع في السودان – عبد الحميد محمد أحمد .
- ديوان العباسي – دار البلد – الخرطوم ١٩٩٩م
- العباسي الشاعر التقليدي المجدد – د. حسن ابشر الطيب – دار البلد – الخرطوم ١٩٩٩ م
- ذكرياتي في البادية – الأستاذ حسن نجيلة – الطبعة الأولى – بيروت .
- أزاهير الرياض للشيخ عبد المحمود نور الدائم – طباعة مكتبة القاهرة لصاحبها على يوسف سليمان .
- الشاعر السوداني محمد سعيد العباسي – د . أحمد عبد الله سامي – دار الإشاد للطباعة – الخرطوم .
- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب – السيد أحمد الهاشمي – ليست به إشارة لدار نشر أو طبعة .
- تاريخ الثقافة العربية بالسودان – د . عبد المجيد عابدين – الطيعة الأولى ١٩٥٤م .

- ديوان إشراقة للتجاني يوسف بشير .
- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها د . عبد الله الطيب – طبعة الحلبي ١٩٥٥م – الجزء الأول .
- ديوان المتنبئ – شرح أبي البقاء العكبري – جزء ١ ، ٢ .
- الفكر السوداني – أصوله وتطوره – محمد المكي ابراهيم .
- أدباء سودانيون في دائرة الضوء – محمد خليل محمد ومحمد فضل بكاب – إعداد وتقديم محمد خليل محمد .
- الشعر الحديث في السودان د. عبود بدوي .
- الشعر الحديث في السودان د . محمد إبراهيم الشوش .
- شعرء الوطنية في السودان د . صلاح الدين المليك .
- ديوان أبي فراس الحمداني – تقديم عبد القادر محمد سابو – دار القلم العربي – الطبعة الأولى سوريا .
- تاريخ الأدب العربي د. شوقي ضيف – جزء ٣ – العصر العباسي الأول .
- ملامح من المجتمع السوداني ٢ ، ١– للأستاذ حسن نجيلة – الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
- ذخائر العرب – شرح السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري تحقيق عبد السلام محمد هارون – دار المعارف – الطبعة الرابعة ١٩٨٠م .
- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – دار الأندلس بيروت – الطبعة الثانية ١٩٨٣ م .
- ديوان الشريف الرضي – المجلد الثاني – توزيع دار صادر – بيروت .
- ديوان حسان بن ثابت – تحقيق د . سيد حنفي حسين – دار المعارف – الطبعة الأولى .
- صحيفة الثورة بتاريخ ٢٢ / ٢ / ١٩٦٣ م .